سِلْسِلَةُ رَسَائِلِ راحَةِ الأَرْوَاحِ

المجموعة الثالثة [11 – 15]

تأليف د. أحمد خضر حسنين الحسن

الرسالة الخامسة عشرة

الحِكَــــمُ الْغَزَالِيَّـــــةُ

(225/ حِكْمةٍ مَجْمُوعةٌ مَنْ كَلامِ حُجَّةُ الْإسلامِ الغَزَالِي)

تأليف

راجي رحمة ربه ذي المِنَنْ

الدكتور: أحمد خضر حسنين الحسن

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ والصلاةُ والسلامُ على خاتمِ الأنبياءِ وإمامِ المرسلينَ سيِّدِنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعينَ .

وبعد : هذه الرسالة هي الخامسة عشرة في هذه السلسلة المباركة ، بعد أنْ عالجَتِ الرسائلُ السابقةُ : معرفة الله تعالى ، ومفهوم العبادة و أنواعها ، ومعرفة النفس البشرية وكيفية تزكيتها ، ومعرفة كلامه تعالى وما يتعلق بالذكروحلقات العلم والباقيات الصالحات الخمس وغيرها .

و إنما جاءت في هذا الترتيب لأنها تشتمل على حِكَمٍ متنوعة تشير إلى كثيرمن المعاني التي حوتها الرسائل السابقة ، وفي تقديمها أقول راجيا من الله السداد والقبول[1] :

اتفقت كتبُ السابقينَ اللاحقينَ و أقوالِ الأولينَ والآخرين على ضرورة الحكمةِ وجمالِها وأهميتِها وكمالِها ،كما اتفقَ العلماءُ على مدحِ الحكيمِ و تأييدِهِ وتصويبِ فعلَه وتسديدَه [2].

وفوقَ الجميعِ وقبلَهم ربُّنا العزيزُ الحكيمُ حيث أثنى على الحكمة ووصف أهلها بأنهم أُوتوا الخيرَ الكثيرَ والبرَ الوفيرَ، فقال الله الحكيم الخبير : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) سورة البقرة (269) .

والحكمةُ مادةُ نجاحِ الناجحينَ وسرُّ فلاحِ الملفحينَ، فتعلُّمُها فقْهٌ في الدِّينِ والعملُ بها عملٌ بيقين [3]، والدعوةُ إليها مِنْ شأنِ المصلِحين.

والحكمةُ من الأمورِ التي يحتاجُ الناسُ إليها في جميعِ الأوقاتِ ولكنْ تشتدُّ الحاجةُ إليها عندَ الوقوعِ في الأمورِ المحيِّرات والظلماتِ المدلهمَّاتِ؛ فقد يصبحُ الناسُ في حيرةٍ مِنْ أمرِهم فإمَّا النجاةُ وإمَّا الهلاكُ المدمّرُ، فإذا وجدوا مَنْ يأخذُ بأيديهم مِنْ أهلِ الحكمةِ نجوْا وإلا هلكُوا وهم في مَقْرُبةٍ مِنْ النجاةِ وعلى بابٍ من الفلاح.

1- هذه الحِكم طُبعتْ في عام 2013 بشركة مطابع السودان للعملة المحدودة بالخرطوم، وكان عددها 121 حكمة واليوم بلغت (225) حكمة بعد ما أضفت إليها نحوا من (100) حكمة أخرى - بحمد الله تعالى وتوفيق - بغرض إدراجها في هذه السلسلة المباركة ومِنْ ثَمَّ نشرها عبر المواقع المهتمة بنشر الكتب الإسلامية كموقع صيد الفوائد وغيره ، والله أسأل القبول والانتفاع بها لي ولعامة المسلمين وخاصتهم .

2- نداء إلى المسلمين .. فانتعلم الحكمة – للدكتور أحمد كفتارة – المقدمة (17).

3- المرجع السابق .

فكَم للحكمةِ مِن فوائدَ وكم لها من جميلِ العوائدِ على الناسِ في شتَّى مراحلِ حياتِهم، ولا أفضلَ مِنْ حكمةِ مَنْ جمعَ بين الدِّينِ والعلمِ والورعِ ذلك الذي لا يخيبُ حدسُه ولا يسقطُ قولُه وتقعُ حكمتُه مِن الناسِ بمكانٍ ، وتكون نبراساً لطلاب الحقيقةِ بصدقٍ .

* * * * * * * *

والحكمة مما اختلف الناس في تعريفه :

فمِن قائلٍ : إنها الإصابةُ في القول والعمل، وقائلٍ : هي العلم الذي تجِلُّ فائدتُه وتعظمُ منفعتُه . وقيل : هي فِعلُ ما ينبغي على الوجهِ الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي .

قال ابنُ القيم رحمه الله : وأحسنُ ما قيلَ في الحكمةِ قولُ مجاهدٍ و مالكَ : إنها معرفةُ الحقّ والعملُ به . والإصابةُ في القولِ والعملِ . وهذا لا يكونُ إلا بفهمِ القرآنِ ، والفقهِ في شرائعِ الإسلامِ ، وحقائقِ الإيمانِ .

وقِيل في تعريفِ الحكيمِ : هو الذي يُحكِمُ الأشياءُ ويتقنُها – كما في لسان العرب – وقِيل : هو الذي يُعِدُّ لكلِّ أمرٍ عُدتَّه [4].

ويكفي الحكمةَ أهميةً وعلوَّ قدرومنزلةً ومكانةً أنَّ الله جل وعلا وصفَ نفسَه بأنه حكيم ، وذلك في أكثرَ من موضعٍ من كتابه كما في قوله تعالى (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) سورة الأنعام (83) وقوله تعالى (إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) سورة التوبة (71) وقال تعالى(وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا) سورة النساء (130) .

ومما يُنبيك - أيضاً - بعظيم شأن الحكمة أن الله وصف بها كتابه فقال تعالى (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) سورة يس (2) وقال تعالى (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) سورة هود (1) .

* * * * * * * *

وقدْ وصفَ اللهُ الأنبياءَ بالحكمةِ ولا نشك أنَّ أفضلَ الحكماءِ في البشرهم الأنبياء والرسل عليهم جميعاً صلوات الله وتسليماته ، فقد قال تعالى في حقّ داودَ عليه السلام (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ) سورة ص (20) وقال في حقِّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ

4/ مدارج السالكين – لابن القيم – منزلة الحكمة .

فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) سورة الجمعة (2) .

وممَّن اتصفَ بالحكمةِ مِنْ البشرِ سوى الأنبياءِ عليهم السلامُ لقمانُ الحكيمُ عليه السلام ولقد سُمّيتْ سورةٌ من القرآن باسمِه وأخبرَالله تعالى عنه بقوله جلَّ وعلا (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) سورة لقمان (12) .

والصحابةُ صاروا حكماءَ علماءَ فقهاءَ بما تعلَّموه مِن النبي صلى الله عليه وسلم من الحكمةِ وبعد تزكيتِه فأصبحوا أعلمَ الخلقِ بل كانوا أئمةَ أهلِ العلمِ والدينِ وأكملِ الخلقِ أخلاقاً وأحسنَهم هدياً وسمتاً .

وهكذا تمضي قافلةُ الحكماءِ في هذه الأمةِ عبر عصورِها المختلفةِ حتى أُلِّفَتْ كتبٌ في الحِكَم ومِنْ أشهرِها حِكمِ ابنِ عطاء اللهِ السكندري ، وقد اعتنى العلماءُ بتدريسها وشرحها ، وهي بحقّ تستحقُ العنايةَ والتقديرَوالشرح لأنها تخاطبُ الإيمانَ في قلوبِ المؤمنين وتحرِّكُ النفوسَ نحو الملكِ القدوسِ جلَّ جلالُه.

* *   * * * *   * *

ولئلا أُطيلَ عليك أخي القارئ الكريم في التقديم أقولُ : لقد لفت انتباهي وأنا أقرأُ في بعضَ رسائلِ حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله (توفي 505 هـ) عباراتٍ أشبَه ما تكونُ بحِكَمِ ابنِ عطاء السكندري فخطر ببالي : لماذا لا ألتقطُ هذه العبارات وأجمعُها في رسالةٍ منفصلةٍ وأسميها : الحِكَمُ الْغَزالِيَّةُ.

فبدأت في تنفيذ هذه الفكرة شيئاً فشيئاً حتى أصبح مجموع ما استخرجته : (225حكمة حكمة ثم ألحقت بها (مناظرة النفس) من كلامه أيضاً وهذه الحكم تختلف اختلافاً كلياً عن عباراتِ الوعظِ ، لأنَّ هناكَ مَنْ جمعَ كتاباً بعنوان (مواعظ حجة الإسلام الغزالي) وهو الشيخ الفاضل صالح أحمد الشامي.

تلك الحِكمُ التي توصلتُ إليها - بفضل الله وتوفيقه - ستقدِّمُ للقارئ بعض ما ينبغي أنْ يعرفَه عن الغزاليِ رحمهَ اللهُ تعالى الذي بخسه بعضُ الناسِ حقَّه ، ولم يعرفوا له قدْرَه ، فحرموا أنفسهم من الاستفادة من علمه الغزيرومؤلفاته المتميزة .

وتلك الحِكَم تبيّن لنا أن الغزالي – رحمه الله – هو مِنْ أفضلِ مَنْ تكلَّمَ في إرشاد العباد إلى الله جلَّ وعلا ، كيف لا وهو صاحب كتابيْ الأربعين في أصول الدين وإحياء علوم الدين ، وهو أهل لأن تؤخذ عنه الحكمة .

وقد قال عنه ابن عطاء السكندري : (أنا أشهد له بالصديقية العظمى) ، وقال عنه ابن النجار رحمه الله : (أبو حامد إمام الفقهاء على الإطلاق ورباني الأمة باتفاق ، ومجتهد زمانه .. وكان شديد الذكاء ، قوي الإدراك ، ذا فطنة ثاقبة وغوص على المعاني) .

ومما قيل في الغزالي [5] :

جمَعَ الإمامُ الغزاليُّ بين الموسوعيةِ الفقهية والريادة الفلسفية والنزعة الصوفية الروحية، اتسمَ بالذكاء وسعة الأفق وقوة الحجة وإعمال العقل وشدة التبصر، مع شجاعة الرأي وحضور الذهن، كل ذلك أهّله ليكون رائدا في تلك العلوم المختلفة والفنون المتباينة ؛ فكان الغزالي فقيها وفيلسوفا وصوفيا وأصوليا، يحكمه في كل تلك العلوم إطار محكم من العلم الوافر والعقل الناضج والبصيرة الواعية والفكر الراشد، فصارتْ له الرِّيادةُ فيها جميعاً، وأصبح واحداً من أعلام العرب الموسوعيين المعدودين

وقد تُرجِم العديد من كتبه إلى جميع اللغات الحية، ويرى المستشرق الفرنسي دي بور أنه : أعجب شخصية في تاريخ الإسلام .

فأبو حامدٍ الغزالي علومٌ اجتمعتْ في عالِمٍ، وأشخاصٌ اجتمعتْ في شخصٍ واحدٍ، اختلفَ حولَه القدماءُ والمحدثون، بين ناقد ومادح، ومؤيد ومعارض ... لقي عنايةً كبيرةً مِنْ الإسلاميين وغيرِهم من الغربيين والمستشرقين، وهذه الدراسات المتنوِّعة والمتعارضة أحيانًا في أحكامها نجد فيها خصوبةً أَثْرتْ الفكرَ الإسلاميَّ أيُّما إثراء.

كما وضع الغزالي نظرية متكاملة في الأخلاق لا نجدها لدى مفكر آخر من سابقيه أو معاصريه. لقد ترك الغزالي تراثًا ضخمًا يجعله في الخالدين، وهو كما قيل: مزاج من علوم شتى، أنضجها البحث الدقيق، وصقلها التفكير العميق، وهو لهذا يتمتع بمقام مرموق من علماء الشرق والغرب.

5- مقال بعنوان : الإمام أبو حامد الغزالي – موقع قصة الإسلام – إشراف الدكتور راغب السرجاني – (بتصرف).

وختاماً : إذنْ هذا هو حجةُ الإسلامِ الغزالي الذي قَبِلَه جمهورُ المسلمين قديماً وحديثاً علماء وعامة، فلكلامه قبول ولحكمته صدىً إن شاء الله تعالى .

وإنني إذ أقدِّم هذه الحِكَم فإني أسألُ اللهَ أن ينفعَني بها وكلَّ مَنْ قرأَها أو سعى في نشرها أو تدريسها أو شرحها وأنْ يجعلها سبحانه في ميزان حسناتي ، وأرجو من القارئ الكريم أن لا ينساني في دعائه .

أخوكم : أحمد خضر حسنين الحسن

10/ ربيع الأول / 1442 – الموافق : 27/10/ 2020

** * * * * * * * *

مع

الحِكَمِ الغَزَالِيّة

قال لي الكثيرون بعد نشرها في الطبعة الأولى (2013) : هذا الحِكم عميقة في معانيها وتحتاج إلى شرح ، فقلت حينها : أنا لست في مستوى شرحها ولكن ربما يشرحها العلماء .

والآن أقول : إن لم تجد لها شرحا فسوف يعطيك الله من فهم معانيها على قدر استعدادك الروحي ، لأن الغزالي رحمه الله يخاطب القلوب والأرواح لا العقول والأفكار .

قال لي بعضهم : كان ينبغي أن تجعلها في أبواب . فقلت : أردتها كالحكم العطائية لكي يتنقل القارئ من معنى لآخر فلا يصاب بالملل ... وهذا ما حصل .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي خلقَنا فأكملَ خلقْنا وأدَّبنا فأحسنَ أدبَنا و شرَّفَنا بنبيّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم فأحسنَ تشريفَنا، ثم أقول و بالله التوفيق:

[هذه مجموعة من الحِكَم التي لا يستغني عنها الأئمة الأعلام فضلاً عن طلبة العلم والعوام، أسأل الله ان يجعلها طريقاً إلى عالي الجنان ومجاورة النبي عليه الصلاة والسلام][6].

1- أقْصَى غاياتِ الاستقصاءِ - في العلمِ المحمودِ - هو العلمُ باللهِ تعالى وبصفاتِه و أفعالِه وسنَّتهِ في خلقِهِ وحكمتِه في ترتيبِ الآخرةِ على الدنيا ؛ فإنَّ هذا علمٌ مطلوبٌ لذاتهِ وللتوصُّل به إلى سعادةِ الآخرةِ ؛ وبذلُ المقدورِفيه إلى أقصى الجَهدِ ، ومهما بذلتَ فهو قصورٌ عن حدِّ الواجبِ فإنَّه البحرُالذي لا يُدرَك غَورُه و إنما يحومُ الحائمون على سواحلِه وأطرافِه بقدْرما يُسِّرَلهم.

2- إذا أرادَكَ اللهُ بخصوصيتهِ الاصطفائيّةِ سَقاك بكأس محبتهِ شربةً، فتزدادُ بذلك الشُّربُ ظمأً وبالذَّوْقِ شَوْقاً، وبالقرب طلباً، وبالسُّكونِ قَلَقاً .

3- مَنْ ألْزَم نفسَه السُّنَّةَ نَوَّرَاللهُ قلبَه بنورِالمعرفةِ، ولا مقام أَشَرفَ مِنْ متابعةِ الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامرِهِ و أفعالِهِ وأخلاقِهِ ، والتأدُّب بآدابه قولاً وفِعْلاً وعَقْداً ونيَّةً .

4- مَنْ حُرِمَ الأدبَ حُرِمَ جوامعُ الخيراتِ، ومَنْ لم تُريِّضْهُ أوامرُالمشايخ وتأديباتهم فإنَّه لا يتأدَّب بكتابٍ ولا سنّةٍ، ومَنْ لم يتأدب بآداب أهلِ البدايةِ كَيفَ يَستقيمُ له دعوى مقاماتِ أهلِ النهاية.

** * * * * **

5- مَنْ لَمْ يعرفِ اللهَ عزَّجلَّ كيفَ يُقبلُ عليه، ومَنْ لم يتأدَّبْ بأمره ونهيه كان عنِ الأدبِ في عُزْلَةٍ، والعبدُ يَصِلُ بطاعته إلى الجنَّةِ وبأدبه إلى الله تعالى .

6- كُلُّ الآدابِ تُتلقَّى مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ؛ فإنَّه مَجمَعُ الآدابِ ظاهِراً وباطناً وأخبرَ اللهُ سبحانه عن حُسْن أدبه بقوله تعالى (مَا زَاغَ الْبَصَرُوَمَا طَغَىٰ) سورة النجم (17) وكان ذلك ساعةَ وصولِه إلى سدرةِ المنتهى، فلم ينظرْإلى غيرِما أُمربالنظرإليه أَدَباً معَ اللهِ تعالى.

6- هذه الافتتاحية كتبتها بلسان الغزالي رحمه الله تعالى .

7- توكَّلْ في أمركَ كلِّه إلى مَنْ تولّاه أولاً ليتولّاه آخِراً، كما كان ذلك مُوكَلاً إليْه حال كونِك مُغيَّباً في الرَّحِمِ ، وكونِك رضيعاً في مَهْدِكَ.

8- علامة تخلُّصِك عن إرادتك بفعل الله أنْ لا تريد مراداً قط ، لأنَّك لا تُريد مَعَ إرادةِ الله سِواها ، فسَاكِنُ الجوارحِ مطمئنُّ الجنانِ .

9- ضاقَتْ عبارات المبرّزينَ في ميْدانِ الفَصاحَةِ عن وَصْفِ كِبَريائه تعالى ، وعَجَزَ بَيانُ السابقينَ في عُرصَةِ المعرفة عن تعريفِ ذاتِهِ تعالى ، وتعالى إدراكُه عن مناوَلَةِ الحواسِّ ومُحاولةِ القياسِ.

10- حُقَّ لِمَنْ حُجِبَ في الدنيا عن إجلالِهِ – تعالى – ومعرفته ، ان يُحجَبَ في الآخرة عن إكرامِهِ ورؤيته .

11- إنَّ آكِلَ الحرامِ والشُّبْهَةِ مطرودٌ لا يوفَّقُ للعبادةِ ؛ إذْ لا يصَلحُ لخدمةِ اللهِ تعالى إلَّا كُلُّ قلبٍ طاهِرٍ، أَلَيَسَ قد مَنَعَ اللهُ تعالى الجُنُبَ مِن دخولِ بيته والمحدِثَ مِن مسِّ كتابه مع أنها أَثَرُ مُباحٍ ؟ فكيف بمن هو منغمِس في قَذَرِ الحرامِ والشَّبْهةِ ؟!!

** **** **

12- ينبغي ألَّا تكون مُفلِساً من الاعمال خالياً من الأَحْوالِ والمعاني الشريفةِ العاليةِ ، واعْلَمْ يقيناً أنَّ العِلمَ بمجرَّدِهِ لا يأخُذُ بيدِكَ يومَ القيامة .

13- إنْ لم تكن مستعداً لائقاً لرحمةِ الإلهِ عز وجل بالعملِ الصالحِ لمْ تصلْ إليكَ رحمتُه ، واسمعِ الدليلَ من القرآن (وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسانِ مَا سَعَىٰ) سورة النجم (39) .

14- إذا لم تَقْهَر الهوى والنفسَ بالمجاهداتِ وتُصيِّرْها تَحتَ الشرعِ لم يكُنِ القلبُ حيّاً بنور المعرفة.

15- إنَّ العلمَ إذا لم يباعْدكَ اليومَ عن المعاصي ولم يصيِّرْك طائعاً لم يباعدْك غداً مِنْ نار جهنَّم ، فإنْ لم تعملْ اليوم قلت غداً ، قال تعالى: (فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً) سورة السجد (12). فيقال لك أيها الأحمق أنت أتيتَ منها فكيفَ تَرجِعْ إليها.

16- نورُ المعرفةِ إذا ظَهَرَ عَزَلَ ظلمةَ المعاصي عن الجوارح ، فإنْ كانت حالتُه حالةً يَرضاها لحلولِ الموتِ شَكَرَ اللهَ تعالى على تَوفيقِهِ وعصمتِهِ، وإنْ كانَتْ حالتُهُ حالةً يكرهُ مَعَها الموت انتقل بصحةِ العزيمةِ وكمالِ الجُهْدِ وعَلِمَ أنْ لا ملجأَ مِن اللهِ إلا إليه، كما لا وصول إليه إلَّا به.

17- اجعل قلبَك قبلةَ لِسانِكَ واستشعِرْ عند الذكر حياءَ العبوديةِ وهيبةَ الربوبيَّةِ، وأعلمْ بأنَّ اللهَ يَعلمُ سِرَّ قلبِكَ ويرىَ ظَاهِرَ فِعلِك ويَسمعُ نجوى قولِك، فاغسِلْ قلبَك بالحُزْنِ وأَوْقِدْ فيه نارَ الخوفِ، فإذا زال حجابُ الغفلةِ عن قلبِكَ كانَ ذِكْرُكَ به مع ذكرِه لك، قال تعالى (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) سورة العنكبوت (45) ، **لأنه تعالى ذكرك مع الغَنَاء عَنْكَ ، و أنت ذكرتَه مع الفقرِ إليه.**

18- في كُلِّ نَفَسٍ مِن أنفاسِ العَبْد نعمةٌ تتجدَّد عليه يَلزمُهُ القيام بشكرها ، وأَدنى الشكرِ أَنْ يَرى النَّعمةَ مِن اللهِ ، ويرضى بما أعطاه، ولا يخالفه بشي من نِعَمِهِ.

19- إنَّ العبدَ إذا نسيَ ذنبَه كانَ ذلكَ عقوبةً له وازدادَ به جرأةً على المعاصي ، ولو انتبه مِنْ رقدةِ الغفلةِ لَنَصَبَ ذنوبَه بين عينَيْ قلبهِ نصباً و لبكى عليها بجفونِ سرِّه واستولى عليه الوجلُ فذابَ حياءً مِنْ ربِّه .

** * * * * * * * *

20- ما دامَ العبدُ يرجِعُ إلى حَولِ نَفْسِهِ وقُوَّتِها انقَطَعَ عن حَولِ اللهِ وقوَّتِهِ فاطرح هِمَّتَكَ بَينَ يَديْ الخَوفِ والرَّجاءِ (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) سورة الحجر (99) .

21- أقِمْ قلبَكَ عن فراشِ البطالةِ و أيقظْ نَفْسَكَ عن نَوْمِ الجهالةِ ، واصْعَدْ بقلبِك الى الملكوتِ الأعلى ولا تَجعلْ قَلبَك تابعاً لِنَفْسِك فإنَّ النفسَ تميلُ الى الأرض ، والقلبُ يميلُ الى السماءِ .

22- افتَحْ بأَب الندمِ واجلِسْ على بساطِ النَّدامةِ واجتهِدْ في إيثارِ أمْرِهِ واجْتِنابِ نهيه والصبرِ على حُكمِهِ ، واغسلْ شرَّكَ بتركِ الغضبِ والشهوةِ ، واستعملِ الرغبةَ والرهبةَ ، فإنّ اللهَ مدحَ قوماً فقال سبحانه : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) سورة الأنبياء (90) .

23- إنَّك لا تقدرُ على أداء فرضِهِ إلا بعَوْنِهِ ولا تبلغُ دارَرضوانهِ إلا برحمتِهِ، ولا تستطيعُ الامتناعَ مِن معصيتِهِ إلا بعصمتِهِ ولا تنجو من عذابه إلا بعفوِهِ، ففي الحديث(إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ) . [صحيح مسلم : 5170]

24- عن كلّ جزءٍ مِنْ أجزائك زكاةٌ واجبةٌ لله، فزكاةُ القَلْبِ التفكرُ في عظمتِهِ وحكمتِهِ وقدرتِهِ وحُجته ورحمتِهِ، وزكاةُ العين النظرُ بالعِبْرَةِ والغضّ عن الشهوة، وزكاةُ الأذُنِ الاستماعُ إلى ما فيه نجاتُك، وزكاةُ اللسانِ النُّطقُ بما يُقربُك إليه، وزكاةُ اليدِ القبضُ عن الشَّرِ والبسطُ إلى الخير، وزكاةُ الرّجلِ السعيُ إلى ما فيه صلاحُ قلبِك وسلامةُ دينِك .

25- الوعظُ زكاةٌ نِصابُها الاتعاظُ ومن لا نِصَابَ له كيفَ يُخرِجُ الزكاةَ وفَاقِدُ النورِ كيف يستنيرُ به غَيرهُ " ومتى يستقيم الظل والعَود أعوج.

* *   * * * *   **

26- قد وَعَدَكَ اللهُ بالنَّارِ على إرادةِ الدنيا فقال تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إلا النَّارُ) سورة الإسراء (15-16) وكل مالا يصحبُك بَعْدَ الموتِ فهو من الدنيا ، فهل تنزَّهْتَ عن إرادةِ الدنيا أو حبّها، ولو أنَّ طبيباً نصرانياً وَعَدَك بالمرض أو الموت على تناول ألذّ الشهوات لتحاشيْتها واتقيتها ؛ أكان النَّصرانيُ عِنْدك أصدقُ من الله تعالى؟ فإنْ كان كذلك فما أكفرَكَ؟ أوكان المرضُ عندك أشدُّ من النارفإن كان كَذلِكَ فما أجَهلكَ؟ .

27- كما أنَّ اللهَ تعالى خَلَق للشفاءِ سبباً مفضياً إليه - وهو الدواءُ – كذلك خلَقَ للسعادةِ سبباً وهو الطاعاتُ ، ونَهيُ النفسِ عن الهوى بالمجاهدةِ المزكّيةِ لها عَنْ رذائلِ الأخلاقِ منجياتٌ، ورذائلُ الأخلاقِ في الآخرةِ مهلكاتٌ، وللنفوسِ طبٌّ كما أنَّ للأجسادِ طباً ، والأنبياءُ عليهم السلام أطباءُ النفوسِ .

28- لنْ تَصِلَ أيّها الطالبُ إلى القِيامِ بأوامرِ اللهِ تعالى إلا بمراقبةِ قَلْبِك وجوارحِك في لحظاتِك وأنفاسِكَ مِن حين تُصبحُ إلى حَينِ تُمسي، فاعلم أنَّ اللهَ مُطّلِعٌ على ضميرِكَ ومُشرفٌ على ظاهرِكَ وباطنِكَ ومُحيطٌ بجميع لحظاتِكَ وخَطَراتِكَ وخُطُواتِكَ، وسائرَ سكناتِك وحركاتِكَ، وأنَّك في مخالطتِك – للناس- وخلوتك متردد بين يديه .

29- العِلْمُ النَّافِعُ هو ما يَزيدُ في خَوفِكَ مِنَ اللهِ تعالى، ويزيدُ في بصيرتِك بعيوب نفسِكَ، ويزيد في معرفتِكَ بعبادةِ ربِّك، ويقلّل مِنْ رغبتِك في الدُّنيا ، ويزيدُ في رغبتِك في الآخرة ويَفتحُ بصيرَتك بآفاتِ أعمالِكَ حتى تحترزَ مِنْها ويُطلِعُكَ على مكايدِ الشَّيطان وغرورِه، فَمَنْ عَلِم ذلكَ وعَمِلَ به ثم علَّمه ودعا إلى فذلك يُدعى عظيماً في ملكوتِ السماوات.

30-الاشتغالُ بالدنيا وغلبةُ الشهواتِ على القَلْبِ يُورِثُ جَميعَ الأوصافِ المذمومةِ ؛ فلا تَطمع في القُرْب مِن اللهِ ما لمْ تبدّلِ الأوصافَ المذمومةَ بالمحمودة.

31- طِيبُ الغذاءِ ينوّرالقَلْبَ ويُورثُ الرِّقةَ والقُربَ مِنَ اللهِ عزَّوجَلَّ، قال الله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) سورة المؤمنون (51) ؛ والطيباتُ هي الحَلالُ : أَطِبْ مَطْعَمَك ومَشربَك وما عليك أَنْ لا تقومَ الليل ولا تصومَ النهارَ ، ولو قامَ العبْدُ قيامَ السَّاريةِ لَمْ ينفَعْهُ ذَلك حتى يعلمَ ما يدخُلُ جَوفَه ، وأسرعُ الناسِ جوازاً على الصِراط أكثرهم ورعاً في الدنيا .

32- الذي يُفْسِدُ على السالكِ سلوكهُ شيئانِ : اتباع الرُّخَصِ بالتأويلاتِ ، والاقتداءِ بأهْلِ الغَلَط من متبعي الشهواتِ .

33- مَنْ ضيَّع حُكْمَ وقتِهِ فهو جاهِلٌ، ومن قصَّر فيه فهو غَافِلٌ، ومَنْ أهملَه فهو عاجِزٌ، ولا تصحُّ إرادة المريد حَتَّى يكون اللهُ ورسولُهُ صلى الله عليه وسلم وَسْواسُ قلبِه [وبذلك يسهل له الاستفادة من الأوقات].

34- إنَّك – إنْ عَصيتَ اللهَ – فإنَّما تعصِيه بجوارحِكَ وهي نعمةٌ من اللهِ عليك وأمانةٌ لديكَ، فاستعانتُك بنعمتِهِ على معصيتِهِ غايةُ الكفرانِ، وخِيانتُك في أمانةِ استودَعَكها اللهُ غاية الطغيان.

35- كلُّ نَفَس من أنفاسِكَ جوهرةٌ ، لا تقدَّرُبثمن ، إذ لا بَدَلَ له ، فإذا فاتَ فلا عَوْدَ لَهُ ، فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون كُلَّ يوم بزيادة أموالهِم مع نقصان أعمارِهِمْ .

36- لا تفرحْ إلا بزيادةِ عِلْم نافعٍ أوعملٍ صالحٍ ، فإنَّهما رفيقاك يصحبانِكَ في القبْرحيث يتخلَّفُ عَنْك أهلُك ومالُكَ وولدُك وأصدقاؤُك .

** **** **

37- لو عرفتَه – أي الله – حقَّ معرفتِه لاتخذتَهُ صباحاً ، وتركتَ الناسَ جانباً ، فإنْ لم تَقْدِرْعلى ذلك في جميع أَوقاتِكَ فإيَّاك أنْ تُخلي ليلَكَ ونهارَك عَن وقتٍ تخلو فيه لمولاك وتتلذَّذُ معه بمناجاتِك له .

38- اعلم أنَّ مِفتاحَ معرفةِ اللهِ تعالى هو معرفةُ النَّفسِ ، كما قال سبحانه : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) سورة فصلت (53) . وليس شئٌ أَقربُ إليك من نفسِكَ، فإذا لم تعرفْ نفْسَكَ فكيف تعرفْ ربَّك.

39- سعادةُ كُلِّ شئٍ ولذَّتُه وَراحتُه تكونُ بمقتضى طبعِه، وطَبْعُ كلَ شئٍ ما خُلِقَ له، فلذةُ القلبِ في معرفة اللهِ لأنَّه خُلِقَ لها، فإذا وَصَلَ إليها فَرِحَ بها ، ويدُّلكَ على ذلك أَنَّ الإنسانَ إذا عَرَفَ الوزيرفرح، ولوعَلِمَ الملكَ - أي صارمن جملة المقربين له - لكانَ أعظمَ فرحاً .

40- مَنْ داومَ على مر اقبةِ قلبهِ للهِ تعالى ، ونَفَى غيرَ اللهِ وجَدَ الله وَوَجَدَ إحسانَه، و إنَّما يحصُلُ عِلْمُ اليقينِ بذلك ، وعِلْمُ اليقينِ هو أنْ ترى الحركاتِ والسكناتِ والأعيانَ بتحريكِهِ وتسكينه وقدرتِهِ سبحانَه، لا يستغني عنه شيءٌ .

41- ربَّما يظنُّ ظانٌ أنَّ العباداتِ الظاهرةِ ترجّحُ بها كفَّةُ الحسناتِ، وهيهات... ذرةٌ مِن ذي تقوى وخُلُق واحد مِنْ خُلُقِ الأكياسِ أَفضلُ مِن أمثالِ الجِبالِ عِملاً بالجوارح.

** * * * * **

42- اعلم أنَّ نَفسَك أَشدُّ عداوةً لك مِن غيرها، واطبخها بنار الإمتحان، واجعل العِلمَ لها سيد الأخْدَانِ، والعملَ الصالحَ لها مولى الخلانَ وتعلَّمِ الأخلاقَ اللطيفةَ وتكسَّبِ الأعمالَ الصالحةَ، والطُفْ واظرفْ وتكايس ولا تتيابس.

43- جاهِدْ نفسَك و اتَّبع شرعَك ولا تخالِفْ نبيَّك - صلى الله عليه وسلم - و أكرِمْ كتابَك - القرآن - فهو هديةُ اللهِ إليك وقبيحٌ بمَنْ أكرمَه ملِكُهُ بهديتِهِ أن يستهينَ بها، وعَن قليل تَلتقِي به وتُوقَفُ وتستحي.

** * * * * **

44- كَما أنك تدعُو ولا يستجابُ لك لفقدِ شروطِ الدّعاءِ ، فكذا تذكرُ اللهَ ولا يهربُ الشّيطانُ منك لفقدِ شروطِ الذّكرِ، فيكونُ - ذكرك حينئذٍ – حديثُ نفسٍ ولا سلطانَ له على القلْبِ ولا يدفعُ الشيطان .

45- مِن شأنِ الفَتَى أنْ ينظر إلى الخلقِ بعيْنِ الرّضى وإلى نفسِهِ بعينِ السُّخْطِ، ومن شأنِه أيضاً معرفة حقوق مَنْ هو فَوْقَهُ ومثلَه ودُونَهُ ولا يتعرَّض لإخوانه بزلة أو احتقار أو كذبٍ .

46- اطلبِ السَّلامةَ فليت من طَلَبَها وجَدَها، فكيَفَ بمَنْ تعرَّض للبلاءِ؟ والسلامةُ قَدْ عَزَّتْ في هذا الزمانِ، فإنْ أردتَّها فلا تنازعِ الأضداد وكلُّ من قال: أنا ، فقل له : أنت ، وكل مَنْ قال : لي ، فقل : لك.

* *   * * * *   **

47-مَنِ اسْتأنَسَ بالله استَوْحَشَ مِن غيرِهِ، فأَقبِلْ على حِفْظَ الفرائضِ وكلَّما ازددتَّ عبادةَ فازددْ شُكْرًا وخَوفًا.

48-الفكرةُ أبو كلِّ خيرٍ وهي مرآةٌ تُريك الحسنَاتِ والسيئاتِ، وهي - الفكرة - تَحتاجُ إلى العُزْلةِ، وفي العزلةِ صيانةُ الجوارحِ وفراغِ القَلبِ وكَسْرِ سِلاح الشيطانِ، وعمارةِ الظَّاهرِ والباطنِ .

49- أنَوارُ العُلومِ لم تحُجبْ عنِ القلوبِ لبخلٍ ومنعٍ من جِهةِ المنعمِ، تعالى عنْ ذلك ، بل لخُبثٍ وكُدورةٍ وشغلٍ مِن جهة القلوبِ، فإنهَّا كالأواني ما دامتْ مملوءةً بالماء لا يدخلُها الهواءُ، والقلبُ المشغولُ بغيرِ اللهِ لا تدخلُه المعرفةُ بجلالِه.

50- مَن عوّدَ نفسَه الفكْرَ في جلالِ اللهِ وعظمتهِ وملكوتِ أرضِه وسمائِه صارَ ذلك عنده ألذَّ من كلّ نعيمٍ.

51-إذا كنتَ لا تشتاقُ إلى معرفةِ الله فأنتَ معذورٌ ، فالعينُ لا تشتاق إلى لذَّة الوِقاع، وإنَّما الشوقُ بعد الذوقِ.

52- إذا لم يَجزْ لك أن تَتْرُكَ السَّعي في طلبِ المالِ اعتماداً على كرمِهِ تعالى، فكذلك لا يجوزُ أن تتْرك التزود للآخرة،فإنَّ ربَّ الدنيا والآخرة واحدٌ.

53- مَن ظنَّ أنّه سينجو بتقوى أبيهِ كان كمَنْ ظنَّ أنَّه سيشبعُ بأكل أبيه أو يروى بشُرب أبيه، والتقوى فرضُ عينٍ لا يَجزي فيها والدٌ عن ولدِه، وعندَ جزاءِ التقوى يفرُّ المرءُ مِنْ أخيه و أمّه و أبيهِ وصاحبته وبنيه إلا على سبيلِ الشفاعةِ.

* *   * * * *   **

54- لا يصحُّ الرجاء إلا إذا تقَّدمَه عملٌ، فإنْ لم يتقدَّمْهُ عملٌ فهو غرورٌ لا محالةَ. والرجاءُ يقوي قلبَ العبدِ ويحبِّبُ إليه ربَّه الذي إليه رجاؤه ولا ينبغي أنْ يفارقَ أحدٌ الدنيا إلا محباً لله تعالى وللقائه ، فإنَّ (مَن أحَبَّ لقاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لقاءَه) رواه البخاري ، والرجاء تقارِنُه المحبةُ فمَنْ ارتجى كرمَه فهو محبوبٌ ، والمقصودُ مِنَ العلومِ والأعمالِ كلِّها معرفةُ اللهِ تعالى حتى تثمرَ المعرفةُ المحبةَ فإنَّ المصيرَ إليه والقدومَ بالموت عليه ومَنْ قَدِمَ على محبوبِه عظُمَ سرورُه بقدرِ محبتِه .

55- الفقْهُ هو الفقْهُ عنِ اللهِ ومعرفةُ صفاتِه المخوِّفةِ والمُزجِرة، ليستشعرَ القلبُ الخوفَ ويلازمُ التقوى، كما قال تعالى : (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) سورة التوبة (122).

56-إنَّ مِن المغرورينَ أُناسًا مِن الوُعَّاظ: يحثونَ على الإخلاصِ وهُمْ غيرُ مخلِصين، ويُظْهِرونَ الدَّعوة إلى اللهِ وهم منه فارُّون، ويُخوِّفون باللهِ وهم منه آمنون ، ويذكِّرون باللهِ تعالى وهم له ناسون، ويقرِّبون إلى الله تعالى وهم عنه متباعِدون، ويذمُّون الصفاتِ المذمومةَ وهم بها متَّصِفون 0 (و إنا لله و إنا إليه راجعون).

57- كلَّما كانَ المعلومُ أشرفُ كانَ العلمُ به ألذَّ، ولا أشرفَ من اللهِ ولا أجلَّ منه، فمعرفتُه ومعرفةُ صفاتِه وعجائبِ ملكِهِ وملكوتِهِ ألذَّ الأشياءِ عند القلبِ، ولهذا كانت لذةُ العارفِ باللهِ تعالى أعظمَ من كلِّ لذةٍ يُتصوَّرُ أن يكونَ في الدنيا سواها .

58- إنْ قصُرَتْ بصيرتُك عن إدراكِ الجَمالِ والجَلالِ والكَمالِ – لله تعالى - والميلِ إلى مطالعتِها والفرحِ بها والعشقِ لها، فلا تقصِّر عن الميل إلى المنعمِ المحسن إليك، ولا تكونَنَّ أقلَّ من الكلبِ، فإنَّه يحبُّ صاحبَه الذي يحسنُ إليه .

وتأمَّلْ في هذا العالَمِ، هل لأحدٍ إحسانُه إليك سوى اللهِ تعالى؟

وهل لك حظٌّ ولذةٌ وتنعُّمٌ في شيء وحرصٍ على نعمةٍ إلا واللهُ خالقُها ومبديها ومبقِيها وخالقُ الشهوةِ إليها والتلذّذ بها؟.

وتفكَّرْ في أعضائك ولطفِ صُنعِ اللهِ تعالى بكَ فيها، لتحبَّه بإحسانِه إليك، فتكونَ من عوامِ الخلقِ إنْ لم تقدرْ أنْ تحبَّه لجلالِه وجمالِه وكمالِه، كما تحبُّه الملائكةُ كذلك.

** **** **

59- العارِفُ لا يحبُّ إلا اللهَ ؛ فإنْ أحبَّ غيرَه فبحبِّه للهِ عزّوجلّ، ومَنْ أحبَّ اللهَ لمْ يمكنْه أنْ لا يحبَّ عبادَه الصالحين المرضيين عندَه، لأنَّ الحبَّ إذا غلَبَ تعدَّى إلى كلِّ مَنْ هو من المحبوبُ بسببٍ، وإنَّما سرايا الحبِّ بقدرِ غلبةِ الحبّ.

60- مَنْ عرَفَ اللهَ خافَه بالضرورةِ ، قال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) سورة فاطر (28) ولذا كانَ أخوفَ خلْقِ اللهِ الأنبياءُ عليهم السلام والأولياءُ والعلماءُ وأهلُ البصيرةِ، وأعظمُ الخلقِ أمناً الغافلون الأغبياء الذين لا يمتدُّ نظرُهم إلى السابقِ ولا إلى الخاتمةِ ولا إلى معرفةِ جلالِ الله تعالى.

61- كما تَنحدِرُ مِن معارفِ القلبِ آثاراً إلى الجوارحِ، فكذلكَ يرتفعُ مِنْ أحوالِ الجوارحِ أنوارٌ إلى القلب؛ ولذلك أُمروا بالصلاة مع أنَّها حركاتٍ بالجوارحِ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (جُعلَتْ قرةُ عيني في الصَّلاةِ) رواه الترمذي والنسائي .

62- إنَّ في كلِّ عملٍ سراً وتحته رمزٌ ، يتنبَّه له كلُّ عبدٍ بقدرِ استعدادِه للتنبّه بصفاءِ قلبِه وقصوره همَّه على مَهمّاتِ الدين، فلا يُستبعَدُ أنْ يفيضَ مِن طهارةِ الظاهرِ على أصرِ الباطن، ففي بدائعِ صنع الله أمورٌ أعجبَ مِنْ هذا.

63 - إيَّاك أن تتصرف في الأمور بعقلك فتقول : ما كان خيراً ونافعاً فكلَّما كانَ أكثرَ كان أنفع ، فإنَّ عقلَك لا يهتدي إلى أسرارِ الأمورِ الإلهيةِ ، وإنما تتلقَّاها قوة النبوة، فعليك بالاتَّباع، وإنْ أردتَ مثالاً فاسمع قول الرسول صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ (لا يفقَهُ مَن قرأَ القرآنَ في أقلَّ مِن ثلاثٍ)[7]، مع قوله صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ (مَنْ قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها)[8] وأثرالفساد ظاهرٌ على قولك؛ لأنه كقولِ القائل الدواء : نافعٌ للمريضِ فكلَّما كان أكثرُ كانَ أنفعَ ، وقد علمتَ أنَّ كثرةَ الدواءِ ربَّما تَقتلُ المريضَ .

64- كما لا يمسُّ ظاهرَ المصحفِ إلَّا المطهَّرون بِظَواهرِهِم وهو محجوبٌ عن غيرهم فكذلكَ حقيقةُ معناه وباطنهُ محجوبٌ عن باطنِ القلبِ إلَّا إذا كان مطهَّراً مِنْ كلِّ رِجسٍ وخُبثٍ مِنْ خبائثِ الباطنِ .

7- صححه النووي في الأذكار – رقم (139) .

8- رواه الترمذي – حديث رقم (2910) وقال : حسن صحيح غريب .

65-مَهْمَا تعوَّدَ الإنسانُ في جميعِ الأمورِ أنْ يفعلَ ما يشاءُ مِنْ غيرِ حاجزٍ أَلِفَ اتّباع مُرادِه وهواه، وغلبَ على قلبِه صفةُ البهيمةِ ، فمصلحتُه أنْ يكونَ في جميعِ حركاتِهِ ملجَماً بلجامٍ يَصدُّه عن طريقٍ إلى طريقٍ، كيلا تنسى نفسَه العبودية ولزومَ الصراطِ المستقيمِ (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) سورة النازعات (40).

66- كما أنَّ المداومةَ على ذكرِ اللهِ تؤكّدُ الأُنسَ باللهِ وتُوجِبُ الحبَّ حتى تَعظُمُ اللذةُ به عندَ فِراقِ الدنيا، فكذلكَ اتَّباعِ الشهواتِ يؤكِّدُ علاقةَ القلبِ مع هذا العالمَ إذْ فيه محبوبُهُ.

67- إذا اعتقدتَ أنَّ لغيرِ اللهِ دخلاً في النعمةِ الواصلةِ إليكَ لم يَصِحَّ حمدُك، ولم تتمَّ معرفتُك وشُكرُك ، وكنتَ كمَنْ يخلَعُ عليه المِلكُ - أي يكرمه بعطية - وهو يرى أنَّ لعنايةِ الوزيرِ دخلاً فيها أو في إيصالِها له ، وكلُّ ذلك إشراكٌ في النعمةِ وسيتوزَّعُ فرحُكَ بالنعمةِ عليهما.

68- مَنْ تركَ الدنيا وظنَّ أنَّه تركَ شيئاً – لوجه الله تعالى - فقد عظّم الدنيا، إذْ الدنيا عندَ ذوي البصائرِ لا شيء، و إنّما هي كاللقمةِ التي ألقاها صاحبُها ليُشغلَ بها الكلبَ الجالسَ أمامَ بابَ بيتِ المِلكِ، فهل يَنشغِلُ بالَهُ بها.

69- تَوبةُ العوامِّ عن الذنوبِ الظاهرةِ، وتَوبةُ الصالحين عن الأخلاق الذميمة الباطنة، وتَوبةُ المتقينَ عن مواقع الريبة، وتَوبةُ المحبّينَ عن الغفلة المُنسية للذكر، وتَوبةُ العارفينَ عن الوقوف على مقام يُتصَّورأنْ يكونَ وراءه مقامٌ ، والمقاماتُ في القربِ مِنَ اللهِ لا نهايةَ لها، فتَوبةُ العارفِينَ لا نهايةَ لها أيضاً.

* *　　* * * *　　* *

70- تواتُرُ الصغائرِ عظيمُ التأثيرِ في تسويدِ القلبِ، وهو كتواتُرِ قطراتِ الماءِ على الحجَرِ، فإنَّه يُحدِثُ فيه حُفرةً لا محالةَ مع لينِ الماءِ وصلابةِ الحجرِ.

71-مَنْ خالَطَ الناسَ كثرتْ معاصيهِ وإنْ كان تقياً في نفسِه إلا أنْ يتركَ المداهنةَ وألَّا تأخذَه في اللهِ لومةُ لائمٍ ويشتغل بالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر.(والله المستعان).

72- مِفتاحُ السعادةِ في اتباعُ السنةِ والاقتداءِ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في جميعِ مصادرِهِ ومواردِه وحركاتِهِ وسَكناتِهِ؛ حتى في هيئةِ أكلِه وقيامِه ونومِه وكلامِه، قال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) سورة آل عمران (31) .

73- طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفيةِ القلبِ وتنويرِهِ وتأكيدِ استعدادِهِ لقَبولِ أنواعِ المعرفةِ .

74- لا تَستحِلَّ مالَ غيرِك إلَّا برضاءٍ مُطلقٍ صافٍ مِنه، فربَّما يعطيكَ بالحياءِ، وذلك ليس مقروناً بالرضاءِ، فإنَّ المستحي يُؤثِرُ ألَمَ إزالةِ المِلْكِ على الحياءِ ، ولا فرْقَ بينَ أنْ تأخذَ مالَ غيرِكَ بضرْبِ السَّوطِ وبين أنْ تضربَهُ بسوطِ الحياءِ .

75- مَنْ عرفَ نفسَه وعرَفَ ربَّه وعرفَ زينةَ الدنيا وعرفَ الآخرةَ ، شاهَدَ بنورِالبصيرةِ وجهَ عداوةِ الدُّنيا للآخرةِ،إذ يَنكشِفُ له قطْعاً أنْ لا سعادةَ في الآخرةِ إلا لمن قدم على الله عارفاً به مُحبّاً له؛ فإنَّ المحبةَ لا تُنالُ إلا بدوامِ الذِّكرِ، وإنَّ المعرفةَ لا تُنالُ إلا بدوامِ الطَّلبِ والفكر؛ ولا يتفرَّغ لهما إلا مَنْ أعرضَ عن أشغالِ الدنيا . (يعني إعراض بالقلب لا بالجوارح) .

76- إنَّما خُلِقتِ الدنيا للتزوّدِ منها إلى الآخرةِ ، ولكنَّ كثرةَ أشغالِها وفنونِ شهواتِها أنسَتْ الحمقى سفرَهَم ، فصارحبُّها رأسَ كلِّ خطيئةٍ ، ولعلَّ ثلثَ القرآنِ في ذمّ الدنيا وذمّ أهلِها ، قال تعالى (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) سورة هود (15) وقال تعالى (فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) سورة النازعات (37-39) .

77- مِنْ العجائبِ أنْ يُعجَبَ العاقلُ بعلمِه وعقلِه ، حتى يتعجَّبَ إنْ أفقرَه اللهُ تعالى وأغنى بعضَ الجُهّالِ ، ويقولَ : كيفَ وسَّعَ - الله - النعمةَ على الجاهلِ وحرَمَني ؟ فيقالُ له : كيف رزقَكَ العلمَ والعقلَ وحرمَهما الجاهلَ ؟.

** * * * * **

78- مَدارُ الطاعاتِ وأعمالِ الجوارحِ كلِّها تصفيةُ القلبِ وتزكيةُ إشراقِ نورِ المعرفةِ، وجِلاءُ القلوبِ يحصلُ بالذكرِولا يتمكَّنُ منه إلا الذين اتقَوا فالتقوى بابُ الذِّكرِ.

79- مَنْ طمِعَ في الخلْقِ لمْ يخلُ عن الذُّلِّ والمهانةِ والمنَّةِ، ومَنْ أعرضَ عن الطمعِ في الخلقِ كفاه اللهُ تعالى وسخَّرَله القلوبَ ، فإذا أحضرَفي قلبِه نَعيمَ الآخرة والدرجاتِ الرفيعةِ، وعلمَ أنَّ ذلك يفوتُ بالرياءِ أعرضَ عن الخلقِ واجتمعَ همُّه وفاضتْ عليه أنوارُ الإخلاصِ وأمدَّه اللهُ سبحانَه بمعونتِهِ وتوفيقِهِ .

80- تَوقُّعَ العفوِ مع خرابِ الأعمالِ كتوقُّعِ كنزٍ في خرابٍ ؛ بل أبعدَ منْه و أندرَ، وقد نبَّهَكَ اللهُ عليه فقال : (وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسانِ مَا سَعَىٰ) سورة النجم (39) ، وقال تعالى : (أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ) سورة ص (28).

81- إنَّما ضعُفَتْ شهوةُ معرفةِ اللهِ تعالى لزحمةِ سائرِ لشهواتِ، و إنَّما خَفِيَتْ معرفةُ اللهِ تعالى مع جَلائِها لشدةِ ظهورِها .

82- إنَّما ابتلاكَ بما تكرهُ مِنْ المرضِ والفَقرِ ليتعبدَّك بالدعاءِ ، وتعبدَّك بالدعاءِ ليُخرِجَ مِنْ قلبِك صفاءَ الذكرِ وخشوعَ القلبِ ورقَّتِهِ، لتَستعِدَّ به لقَبولِ الألطافِ والأنوارِ.

83- جَمالُ المعاني المُدركَةِ بالعقلِ أعظمُ مِنْ جمالِ الصوَرِ الظاهرةِ للأبصار ، فتكونُ لا محالةَ لذةُ القلبِ بما يدركه مِنْ الأمورِ الشريفةِ الإلهيةِ التي تجلُّ عن أنْ تُدركُها الحواسُ أتمَّ و أبلغَ ، فلا يُنكِرُ - إذن - حبَّ اللهِ إلا مَنْ قعَدَ به القصورُ في درجة البهائمِ فلمْ يجاوزْ إدراكَ الحواسّ أصلاً.

84- مَنْ كانت البصيرةُ الباطنةُ أغلبَ عليه مِنْ الحواسِّ الظاهرةِ كان حبُّه للمعاني الباطنةِ أكثرَ من حبِّه للمعاني الظاهرة، فشتّانَ بين مَنْ يحب نقشاً مصوّراً وبين مَنْ يحبُّ نبياً مِنَ الأنبياءِ لجمالِ صورتِه الباطنة.

85- مَنْ أحبَّ غيرَ اللهِ لا مِنْ حيثُ نسبتِه إلى اللهِ فذلك لجهلِه وقصورِه في معرفةِ اللهِ تعالى، وحبُّ الرسولِ صلى الله عليه وسلم محمودٌ لأنَّه عينُ حبِّ اللهِ تعالى وكذلك حبُّ العلماء والأتقياء.

86- إنَّ اللهَ تعالى هو ذُو الجلالِ والبهاءِ والجمالِ والقدرةِ والكمالِ الذي تتحيَّرُ في معرفةِ جلالهِ العُقولُ، وتخرسُ في وصفهِ الألسنة، الذي كمالُ معرفةِ العارفين به الاعترافُ بالعَجزِ عن معرفتِهِ ، ومُنتهى نبوَّةِ الأنبياءِ الإقرارُ بالقصورِ عن وصفهِ ، كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين (لا أُحصي ثناءً علَيكَ أنتَ كما أثنَيتَ علَى نفسِك) [صحيح مسلم (486)] فسبحان مَنْ لمْ يجعلْ للخلقِ طريقاً إلى معرفتِهِ إلا بالعجزِ عن معرفتِهِ.

87- جميعُ أقطارِ ملكوتِ السماواتِ والأرضِ مَيدانٌ للعارفِ يتبوَّأُ منها حيث يشاءُ مِن غيرِ حاجةٍ إلى أنْ يتحرَّك إليها بجسمِه وشخصِه، فهو مِنْ مُطالعةِ جَمالِ الملكوت في جنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ.

88- المعرفةُ باللهِ الحاصلةُ في الدنيا بعينِها هي التي تُستكمَلُ فتبلغُ كمالَ الكشفِ والوضوحِ وتنقلبُ مشاهدةً - في الآخرة -، ولا يكونُ بينَ المشاهدةِ في الآخرةِ والمعلومُ في الدنيا اختلافٌ إلا مِنْ حيث زيادةِ الكشفِ والوضوحِ، وكلُّ مَنْ لَم يجدْ لذةَ المعرفةِ في الدنيا فلا يجدْ لذةَ النَظَرِ في الآخرة، إذ لا يُستأنَفُ لأحد في الآخرة ما لم يصحَبْه في الدنيا.

** * * * * **

89- أسعدُ الخَلقِ حالاً في الآخرةِ أقواهُم حُباً لله تعالى، فإنَّ الآخرة معناها القدومُ على اللهِ تعالى ودَرْكُ سعادةِ لقائِه، وما أعظمَ نَعيمَ المُحبّ إذا قَدمَ على مَحبوبِه بعد طولِ شَوقِهِ. وإنَّما يُكتسَبُ هذا الحبُّ في الدنيا وأصلُ هذا الحُبّ لا ينفكُّ عنه مؤمنٌ، وأما قوةُ الحبّ واستيلاؤه حتى ينتهي إلى حدِّ الاستهتارِ- الولع - فذلك ينفكُّ عنه الأكثرون .

90- عُقُولُنا ضعيفةٌ وجمالُ الحضرةِ الإلهيةِ في نهايةِ الإشراقِ والاستنارةِ وفي غايةِ الاستغراقِ والشمولِ حتى لم يشِذَّ عن ظهورِه سببُ خفائِه، فسبحانَ مَنْ احتَجَبَ بإشراق نورِهِ واختفى عَنِ البصائرِ والأبصارِ بظهوره.

91- مَن قَويتْ بصيرتُه فإنَّه في حالِ اعتدالِ أمره لا يَرى إلا اللَ تعالى ولا يعرفُ غيرَهُ، ويعلمُ أنَّه ليس في الوجودِ إلا اللهُ ؛ و أفعالُه أثرٌمن آثارقُدرتِهِ فهي ثابتةٌ له، فلا وجودَ لها بالحقيقة دُونَهُ.

** * * * * **

92- الحبُّ إذا غلبَ قمعَ الهوى فلمْ يبقَ تنعُّمٌ بغيرِالمحبوبِ، وحبُّ اللهِ تعالى للعبدِ تقريبُه مِنْ نفسِه بِرَفعِ الشواغِلِ والمعاصي عنه وتطهيرُ بَاطِنهِ عن كدوراتِ الدنيا ورفعِ الحِجابِ عن قلبهِ حتى يُشاهِدَه كأنَّه يراه بقلبه.

93- أقلّ درجاتِ الحُبّ التلذُّذ بالخلوةِ بالحبيب والتنعُّم بمناجاتِهِ، فمَنْ كان النومُ والاشتغالُ بالحديثِ ألذَّ وأطيبَ عنده مِنْ مناجاةِ اللهِ كيف تصحُّ محبتُهُ.

94- لا يَحنُّ إلى القُربِ - من الله تعالى - مَنْ أَلِفَ البُعدَ ولا يتَّقِي خوفَ البُعد مَنْ لم يُمكَّنْ مِن بساط القرب.

95-درجاتُ العارفِين في المعرفةِ بالله تعالى لا تَنحصِرُ، إذ الإحاطةُ بكُنْهْ جلالِ اللهِ غيرُ ممكنةٍ وبحرُ المعرفةِ ليسَ له ساحلٌ وعُمقٌ، و إنما يغوصُ فيه الغوَّاصون بقدرِ قواهم وبقدرِ ما سبقَ لهم مِنَ اللهِ تعالى في الأَزَلِ.

96- مِنْ آثارِ الرَّجاء التلذُّذ بدوامِ الإقبالِ على اللهِ والتنعُّمِ بمناجاتِهِ والتلطُّف في التملُّق له، فإنَّ هذه الأحوالَ لا بُدَّ وأنْ تظهرَ على مَنْ كان يرجو مَلِكاً مِنْ الملوك أو شخصاً مِنْ الأشخاص، فكيفَ لا يَظهرُ ذلك في حقِّ الله تعالى، فإنْ لم يظهرْ عليكَ فاستدِلَّ به على الحِرمانِ مِنْ مقامِ الرجاءِ والنزولِ في حضيض الغرورِ والتمنّي.

** *   * * * *   ***

97- طهارةُ القلب لا تحصلُ إلا بالكفِّ عن شهواتِ الدنيا، والأُنسُ بالله لا يحصلُ إلا بكثرةِ الذكرِ، والحبُّ –لله- لا يحصلُ إلَّا بالمعرفةِ، ولا تحصل معرفة الله إلا بالفكر. وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت .

أما طهارةُ القلبِ عن شهواتِ الدنيا : فهي مِنْ المنجياتِ إذ تكون جُنَّةً بين العبدِ وبين عذابِ الله كما ورد في الحديث أن أعمال العبد تناضل عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الميت (فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيَقُولُ: فَعَلَ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ) .[9]

---

[9]- والحديث بتمامه عن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّوْنَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ. فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيَقُولُ: فَعَلَ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ آذَنَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، مَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟. فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنِي عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ: مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟. فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مُتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ، فَيَجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسِيمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ. قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلِهِ تَعَالَى: **{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}** [إبراهيم: 27] إلى آخر الآية قَالَ: وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ ثُمَّ. أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يُوجَدْ شَيْءٌ ثَمَّ، أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَلاَ يُوجَدْ شَيْءٌ. فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ. فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ:

وأما الأُنسُ والحبُّ فهُما مِنَ المسعداتِ وهما موصّلان العبدَ إلى لذةِ اللقاءِ والمشاهدةِ: وهذه السعادةُ تتعجَّلُ عقيبَ الموت إلى أنْ يدخُلَ أوانِ الرؤيةِ في الجنةِ فيصيرُ القبرُ روضةً مِنْ رياضِ الجنةِ ، وكيف لا يكونُ القبرُ عليه روضةً مِنْ رياضِ الجنةِ ولم يكنْ له إلا محبوبٌ واحدٌ ، وكانتِ العوائقُ تعوقُهُ عن دوامِ الأُنسُ بدوامِ ذكرِهِ ومطالعةِ جمالِه.

98- كم مِنْ ظانٍّ بنفسِهِ كراهةَ المعاصي عند تعذُّرِها، فلمَّا تيسَّرتْ له أسبابُها مِنْ غَيرِ مكدِّرٍ ولا خوفٍ مِنْ الخلقِ وقَعَ فيها.

99-العبد الحقُّ مَنْ أُعتِقَ أولاً مِن غير الله فصار حراً مطلَقاً ، فإذا تقدَّمتْ هذه الحريةُ صارَ القلبُ فارغاً فحلَّت فيه العبوديةُ للهِ فتَشغلُه باللهِ وبمحبتِه، وتقيّدُ باطنَهُ وظاهرَهُ بطاعتِه، فلا يكونُ له مُرادٌ إلا اللهَ، ثم تَجاوزَهذا المقامَ إلى مقامٍ أسمى مِنْه يُسمَّى الحريةُ ، وهو أنْ يُعتَقَ أيضاً عن إرادتِه للهِ مِن حيثُ هو؛ بل يقنعُ بما يريدُ اللهُ مِن تقريبٍ أو إبعادٍ فَتَفنى إرادتُه في إرادةِ اللهِ تعالى، فصارَمفقوداً لنفسِه موجوداً لسيّدِه ومولاه، إنْ حرَّكهُ تَحرَّك وإنْ سكَّنَه سكنَ وإنْ ابتلاه رَضي، وهذا منتهى الصدقِ في العبوديةِ للهِ تعالى ،وهذه درجةُ الصِّدّيقين، وأما الحريةُ عن غيرِ الله تعالى فهي أدنى درجاتِ الصَّادقينَ وما قبلَ هذا فلا يستحقُّ صاحبَه أن يسمَّى صادقاً ولا صدّيقاً.

* *   * * * *   * *

100- رُبَّ و اقفٍ على هيئةِ الخُشوعِ في صلاتِه ليس يقصِدُ مشاهدةَ غيرِهِ - أي غيرمُراءٍ - ولكنَّ قلبَه غافِلٌ عن الصَّلاة؛ فمَنْ ينظرُإليه يراه قائماً فهذه أعمالٌ تُعربُ بلسانِ الحالِ عن الباطنِ إعراباً هو فيه كاذبٌ، وهو مطالَبٌ بالصدقِ في الأعمال، ولا ينجو مِنْ هذا إلا باستواءِ السرِ والعلانيةِ.

أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ، حَتَّى يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ. فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مُتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ أَطَعْتَهُ، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، فَتِلْكَ المَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهِ: **{فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا * وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}** [طه: 124]). حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – رقم (3561) – نقلا عن الموسوعة الشاملة .

101- الزاهدُ مَنْ أتتْهُ الدنيا راغمةٌ صفواً عفواً ، وهو قادرٌ على التنعُّم بها، فتركَها خوفاً مَنْ أنْ يأنسَ بها فيكونَ آنساً بغيرِ اللهِ ومُحباً لما سوى اللهِ ويكونُ مُشركاً في حبّ اللهِ تعالى غيرَه.

102-معنى الانصرافِ عنْ الدنيا إلى اللهِ تعالى هو الإقبالُ بِكُلِّ القلبِ عليه سبحانه ذِكراً وفِكراً، ومهما اقتصرتَ مِنْ الدنيا على دفعِ المُهلكاتِ عنِ البدنِ وكان غَرضُك الاستعانةَ على العبادةِ لم تكُنْ مُشتغلاً بغيرِ اللهِ تعالى، فإنَّ ما لا يُتوصَّلُ إلى الشيءِ إلَّا به فهو منْه.

103- مَنْ لَم ينشرحْ بنورِ الله تعالى صَدرُهُ للإسلامِ، قَصُرَت بصيرتُه عن ملاحظةِ جبَّارِ السماواتِ والأرضِ ومشاهدةِ كونِهِ قاهراً وراءَ الكلِّ وقفَ في الطريقِ.

104- كمال التوحيد ألا يرى الأمور كلَّها إلا مِن الله تعالى، وعلامتُه أنْ لا يغضبَ على أحدٍ مِنْ خَلقِ اللهِ بما يجري عليه، إذ لا يرى الوسائطَ و إنَّما يرى مسبِّبَ الأسبابِ .

105- مقتضى سنةِ الله تعالى أنَّ النفسَ ما دامت محجوبةً بعوارضِ البدنِ ومطالبِ الشهواتِ وما غلَبَ عليها مِنْ الصفاتِ البشريّةِ فإنَّها لا تنتهي إلى المُشاهدةِ واللّقاءِ في المعلوماتِ الخارجةِ عنِ الخيالِ بلْ هذه الحياةُ حجابٌ عنها بالضرورةِ كحجابِ الأجفانِ عن رؤيةِ الأبصارِ.

106-مَنْ أحبَّ الموت- مِن العارفين- إنَّما أحبَّه لأنه رأى نفسَه و اقفاً في المعرفةِ بالغاً إلى منتهى ما يُسِّرَله ، و مَنْ كره الموت إنما كرهه لأنه كان يُؤمِّلُ مزيدَ معرفةٍ تحصلُ له بطولِ العمرِ، ورأى نفسَه مقصِّراً عمّا تحتملُه قوتُه لو عُمِّرَ.

107- المخلصُ في الحقيقةِ مَنْ كانَ اللهُ تعالى محبوبَ قلبِه ومعبودَ قلبهِ ومقصودَ قلبهِ فقط، ومَنْ كان هذا حالهُ فالدنيا سجنُه لأنَّها مانعةٌ له مِن مشاهدة محبوبِه، وموتُه خلاصٌ له مِنَ السّجنِ وقدومٌ على المحبوب. (فهل قلبك كذلك).

108- كمالُ الحبِّ أن يحبَّ - العبد - اللهَ بكلِّ قلبه، وبقدر انشغاله بغير الله ينقص منه حبُّ اللهِ، وإلى هذا التفريد جاءت الإشارة بقوله تعالى (قلِ اللهُ ثُمّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) سورة الأنعام (91).

** **** **

109- بَحرُ المعرفة لا ساحلَ لهُ ، فلِذا كان تفاوُتُ أهلِ المعرفةِ في الحبِّ لا حَصرْلهُ ، والتفاوُتُ في المحبة هو السببُ للتفاوتِ في سَعادة الآخرة، ولذلك قال تعالى: (وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً) سورة الإسراء(21).

110- مَن نظرَ إلى الكونِ مِن حيثُ إنَّه فِعلُ الله، وعرفه مِن حيثُ إنه فِعلُ الله، وأحبَّه مِن حيثُ إنه فعلُ الله، لم يكن ناظراً إلا في الله مِن حيثُ نفسِه.

111-جمالُ الحضرةِ الإلهيَّةِ في نِهايةِ الإشراق والاستنارةِ، وفي غاية الاستغراقِ والشمولِ، حتى لمْ يشذَّ عنْ ظهورِهِ ذرةٌ مِنْ ملكوتِ السماوات والأرض، فصارَظهورُه سببُ خفائهِ، فسبحانَ مَنْ احتجبَ بإشراقِ نورهِ ، واختَفى عنِ الأبصارِوالبصائرِ بظُهورِه.

112-غيرةُ اللهِ تعالى على أوليائِه تأبى إلا إخفاءَهم، والمغرورُمَنْ يطلبُ لقاءَهم في المشهورينَ بين الخلْقِ بالعلمِ والورعِ والرياسةِ، وإنْ شئْتَ الدليلَ قال صلى الله عليه وسلم :(كم من أشعثَ أغبرَذي طِمرينِ لا يُؤبَهُ له لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه) رواه الترمذي .

113- أقربُ القلوبِ إلى مقاماتِ الرضا والمحبةِ والشوقِ والإخلاصِ : القلوبُ المنكسِرةُ المستشِعرةُ ذلَّ نفسِها حتى يكونَ التواضعُ صفةً ذاتيةً لها، و أبعدُ القلوبِ مِن تلك المقاماتِ القلوبُ المتكبرةُ المعجبةُ بأنفُسِها المستبشرة بعلمها وعملِها.

114- إنَّ المُلتفتَ إلى نفسِه محجوبٌ عنِ الله وشغلُه بنفسِه حجابٌ له ، فليس بين القلبِ وبين اللهِ حجابُ بُعدٍ وتخلُّلٌ حائلٍ و إنما بُعدُ القلوبِ شغلُها بغيرِاللهِ تعالى أو بنفسِها.

115- مَن عرَفَ نفسَه وعرفَ ربَّه عرفَ قطعاً أنه لا وجودَ له مِن ذاتِه و إنَّما وجودُ ذاتِه ودوامُه وكمالُه مِنَ اللهِ وإلى اللهِ وباللهِ، فكيفَ يُتصوَّرُأنَّ يُحبَّ الإنسانُ نفسه ولا يحبُّ ربَّه الذي به قوامُ نفسِه.

** **** **

116-مَنْ ذاقَ لذةَ المعرفةِ-بالله- انغمسَ في بحارِها وتركَ ما سِواها فإنَّ لذةَ معرفةِ اللهِ تعالى ومطالعةَ صِفاتهِ و أفعالَه ونظامَ مملكتهِ مَن أعلى علِّيّين إلى أسفلِ سافلين، خاليةٌ مِن المكدِّرات، ثم هي- المعرفة- أبديةٌ سرمديةٌ لا يقطعها الموتُ، لأَنَّه لا يهدمُ محلَّها- وهو الروح - و إنَّما يغيِّر أحوالَها ويقطعُ شواغِلَها وعوائِقَها، ويُخرجُها مِنْ حبسِها أمَّا أنْ يَعدِمَها فلا ، قال

تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) سورة آل عمران (169) والعلماءُ أعظمُ منهم منزلةً عندَ اللهِ تعالى.

117- ليسَ في الوجودِ غيرُ الحيِّ القيومِ وهو الواحدُ الصمدُ ، فإذا نظرتَ مِنْ هذا المقامِ عرفتَ أنَّ الكلَّ منه مصدرُه وإليه مرجعُه.

118- ترجمةُ التوحيدِ (لا إله إلَّا اللهُ) معناه : ألَّا يرى إلا الواحدَ الحقَّ، والواصلون إلى كمالِ التوحيدِ - بهذا المعنى - هم الأقلُّون، وفيهم مَنْ تنفتحُ بصيرتُه في بعض الأحوال فتلوحُ له حقائقُ التوحيدِ ، ولكنْ كالبرقِ الخاطفِ لا يثبُتُ، وقد يثبتُ زماناً، والدوامُ فيها عزيزٌ .

119- فِعلُك الخيرَ عطاءٌ مِنَ اللهِ تعالى، ومع ذلكَ أثنى عليكَ، وثناؤه نعمةُ أخرى مِنْه إليك، فهو الذي أعطى وهو الذي أثنى، فله الشكرُ على كلِّ حالٍ ؛ و أنت موصوفٌ بأنَّك شاكرٌ لأنَّك صِرتَ محلّاً للشكر.

120- ما مِنْ أحدٍ موفَّقٍ إلا وهو مقودٌ إلى الجنةِ بسلاسلِ الأسبابِ ، وهو تسليطُ العِلْمِ والخوفَ عليه، وما مِن مخذولٍ إلا وهو مقودٌ إلى النار بالسلاسل وهو تسليطُ الغفلةِ والأمنِ والغرورِ عليه، (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ) فاطر(8) .

* *   * * * *   * *

121- إنَّ الساجدَ إذا أُذيقَ طعمَ السجودِ يُقرَّبُ، لأنَّه يسجد ويطوي بِسجوده بِساطَ الكون ويسجُد على طرف رِداء العَظَمة فيَقترِبُ.

122- النَّظْرُ إلى الأعمالِ وملاحظةُ الثوابِ والعقابِ والتشوُّفُ إلى الكراماتِ والمواهبِ، هذا شِركُ في الإخلاصِ عند أَهْلِ الختصاص.

123- الموحِّدُ هو الذي لا يَرى إلا الواحدَ ولا يوجِّه وجهَهَ إلا إليه وهو امتثالٌ لقولِه تعالى: (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) سورة الأنعام (91) وليس المرادُ به القولَ باللسانِ ؛ فإنَّما اللسانُ ترجمانٌ يصدُقُ مرةً ، ويَكذبُ أخرى ، وإنَّما موقعُ نظرِ اللهِ تعالى المترجِم عنهُ هو القلبُ ، وهو معدنُ التوحيدِ ومنبعُه.

124- كلُّ حظٍ مِنْ حظوظِ الدنيا تستريحُ إليه النفسُ ويميلُ إليه القلب - قلَّ أم كثُرَ- إذا تطرَّقَ إلى العملِ تكدَّرَبه صفوُه وزالَ به إخلاصَه. والإنسانُ مرتبطٌ في حظوظِه منغمِسٌ في شهواتِه

قلَّما ينفَكُّ فعلٌ مِنْ أفعالِهِ وعبادةٌ مِنْ عباداتِهِ عن حظوظٍ وأغراضٍ عاجلةً مِنْ هذه الأجناس ، فلذلك قيل : مَنْ سلِمَ له مِنْ عمرِهِ لحظةٌ واحدةٌ خالصةً لوجهِ اللهِ نجا.

125-إنَّ مِنْ آحادُ العوامِ مَنْ نورُه مثلُ نورِ السراجِ وبعضُهم نورُه كنورِ الشمعِ، و إيمانُ الصِّديقينَ كنورِالقمرِوالنجومِ، و إيمانُ الأنبياءِ كالشمسِ ؛ وكما يَنكشِفُ في نورِالشمسِ صورةُ الآفاقِ مع اتساعِ أقطارِها ولا ينكشفُ في نورالسِّراجِ إلا زوايةً ضيِّقةً من البيتِ فكذلك انشراحُ الصدرِبالمعارفِ و انكشافُ سعةِ الملكوتِ لقلوبِ العارفين.

126- اعلمْ أنَّ أكثرَأفعالِ اللهِ وأشرفِها لا يعرفُها أكثرُالخلقِ بل إدراكُهم مقصورٌعلى عالم الحسِّ والتخييلِ وأنهما النتيجةُ الأخيرةُ من نتائج عالَم الملكوت وهو القِشرُالأقصى عن اللُّب الأصفى ومَنْ لم يجاوزْ هذه الدرجةَ فكأنه لم يشاهد من الرمان إلا قشرتَه ومن عجائبِ الإنسان الا بشرتَه .

* *   * * * *   * *

127- النورُالحقُّ هو الذي بيده الخلقُ والأمرُ ، ومنه الإنارة أولاً والإدامةُ ثانياً. فلا شِركةَ لأحدٍ معه في حقيقةِ هذا الاسمِ ولا في استحقاقِه إلا من حيثُ يسميّه به ويتفضَّلُ عليه بتسميته تفضُّلَ المالكِ على عبدِه إذا أعطاه مالاً ثم سماه مالكاً.

وإذا انكشفَ للعبد الحقيقة علِمَ أنه ومالَه لمالكِه على التفرُّد لا شريك له فيه أصلاً البتة.

128- تفاوتُ درجاتِ السُّعداء بحسَب تفاوتُ المعرفةِ والإيمانِ كما تتفاوتُ درجاتُ الأغنياءِ بحسب قلةِ المالِ وكثرتِهِ. فالمعارفُ - الإيمانية - أنوارٌ ولا يسعى المؤمنون إلى لقاءِ اللهِ تعالى إلَّا بأنوارِهم قال الله تعالى (يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) سورة الحديد (12) فبهذا ظهرَتفاوتُ الناسِ في الإيمانِ ولوِوُزن إيمانُ أبي بكربإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجَحَ .

129- المحرومُ يرى فوقَ درجتِه – في الجنة - درجاتٍ عظيمةً فيكونُ نظَرُه إليها كنظرالغنيّ الذي يملكُ عَشرةَ آلاف درهم إلى الغني الذي يملكُ الأرضَ مِن المشرقِ إلى المغربِ وكلُّ واحدٍ منهما غنيٌّ ولكن ما أعظم الفرقَ بينهما وما أعظمَ الغُبن على مَنْ يخسرُ حظَّه مِنْ ذلك، قال الله تعالى :(وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) سورة الإسراء (21).

130- حقيقةُ الذِّكرِ لا تتمكُّنُ من القلبِ إلا بعد عمارته بالتقوى، وتطهيرِه من الصفات المذمومة، وإلا فيكونُ الذكرُحديثُ نفسٍ، ولا سلطانَ له على القلب، ولا يدفعُ الشيطانُ ،،،

كما أنَّك تدعو ولا يُستجابُ لك لفقدِ شرطِ الدعاءِ ، فكذلك تذكُرُ اللهَ ولا يهربُ الشيطانُ لفقْدِ شروطِ الذكرِ.

131- القلبُ بأصلِ الفطرةِ صالحٌ لقَبولِ آثارِ المَلَك ولقبولِ آثارِ الشيطان صلاحاً متساوياً ليس بترجُّح أحدهما على الآخَر، و إنما يترجَّحُ أحدُ الجانبينِ باتّباعِ الهوى والانكبابِ على الشهواتِ أو الإعراضِ عنها ومخالفتِها، فإنْ اتَّبَعَ الإنسانُ مقتضى الغضبِ والشهوةِ ظهرَ تسلُّطَ الشيطانِ بواسطةِ الهوى ، وصارَ القلبُ عشّاً للشيطانِ ومعدنه ؛ لأنَّ الهوى هو مرعى الشيطانِ ومرتعِهِ ، وإنْ جاهَدَ الشهواتِ ولم يسلِّطْها على نفسهِ ، وتشبَّه بأخلاقِ الملائكةِ عليهم السلامُ ، صارَ قلبُه مستقراً للملائكة ومهبطَهم ، ومهما غلبَ على القلبِ ذكرُ الدنيا بمقتضياتِ الهوى وجَدَ الشيطانُ مجالاً فوسوس له ؛ ومهما انصرفَ القلبُ إلى ذكرِ الله تعالى ارتحلَ الشيطانُ وضاقَ مجالُه ، و أقبلَ المَلَكُ وأَلْهَمَ ، ولذلك قال الله تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا) الإسراء (65). ومفاتيحُ القلوبِ بيدِ اللهِ يفتَحُها إذا شاءَ كما شاءَ بما يشاءُ .

132- إنَّما فزِعَ الأكثرون إلى الأعمالِ الظاهرةِ عن تطهيرِ القلوبِ لسهولةِ أعمالِ الجوارحِ واستصعابِ أعمالَ القلوب ؛ فإنْ كنتَ مريداً للآخرة وطالباً للنجاةِ وهارباً مِنْ الهلاك الأبدي فاشتَغِلْ بعلْم العِللِ الباطنةِ وعلاجِها، فإنَّ القلبَ إذا فُرّغَ مِنَ المذمومِ - من الصفات - امتلأَ بالمحمودِ ؛ والأرضُ إذا نقِّيَتْ مِنِ الحشيشِ نبتَ فيها أصنافُ الزرعِ والرياحين .

** * * * * **

133- أمراضُ القلوبِ لا يُمكنُ علاجَها إلا بالأدويةِ المستفادةِ من الشريعةِ وهي وظائفُ العباداتِ والأعمالُ التي ركَّبها الأنبياءُ صلواتِ اللهِ عليهم لإصلاحِ القلوبِ .

134- لا يَبقى مع العبدِ عندَ الموت إلا ثلاثُ صفاتٍ : صفاءُ القلبِ أعني طهارتَه مِنْ أدناسِ الدنيا؛ و أُنسُه بذكرِ الله ؛ وحبُّه لله. وطهارةُ القلبِ لا تحصلُ إلا بالكفِّ عن شهواتِ الدنيا؛ والأُنسُ لا يحصلُ إلا بكثرةِ الذّكرِ؛ والحبُّ لا يحصلُ إلا بالمعرفة، ولا تحصلُ معرفةُ الله إلا بدوام الفكر.

135- العلمُ عبادةُ القلبِ وصلاةُ السرّوقربةُ الباطنِ إلى اللهِ تعالى وكما لا تصحُّ الصلاةُ التي هي وظيفةُ الجوارحِ الظاهرةِ إلا بتطهيرِ الظاهر عن الأحداثِ والأخباثِ؛ فكذلك لا تصحُّ عبادةُ الباطنِ ، وعمارةُ القلبِ بالعلمِ إلا بعد طهارتهِ عن خبائثِ الأخلاقِ و أنجاسِ الأوصافِ ، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) (التوبة: 28) تنبيهاً للعقولِ على الطهارة

والنجاسةِ غيرِ مقصورةٍ على الظواهر بالحس ، فالمشرِكُ قد يكونُ نظيفَ الثوبِ غسولَ البدن ، ولكنه نجِسُ الجوهرِ أي باطنُه ملطَّخٌ بالخبائثِ .

136-العِلْمُ حياةُ القلوبِ مِنَ العمى ، ونورُ الأبصارِ مِنَ الظُّلَمِ ، وقوةُ الأبدانِ مِنَ الضَّعْفِ يبلغُ به العبدُ منازلَ الأبرارِ والدرجاتِ العلى ، والتفكُّرُ فيه يُعدَلُ بالصيام ومدارستُه بالقيامِ ، به يُطاعُ اللهُ عز وجل وبه يُعبَدٌ ، وبه يُوحَّدُ وبه يُمجَّدُ وبه يُتورَّعُ، وبه تُوصَلُ الأرحامُ وبه يُعرَفُ الحلالُ والحرامُ وهو إمامٌ والعملُ تابعُه ، يُلْهَمُه السعداءُ ويُحرَمُه الأشقياءُ .

137- تمامُ السعادةِ مبنيٌّ على ثلاثةِ أشياءَ : قوةُ الغضبِ، وقوةُ الشهوة، وقوة العلم ، فيحتاج - العبد - أنْ يكونَ في أمرِها متوسِّطاً؛ لئلا تزيدُ قوةُ الشهوة فتخرجُه إلى الرُّخَصِ فيهلَك، أو تزيدَ قوةُ الغضبِ فتُخرِجُه إلى الجُموحِ فيهلَك.

فإذا توسَّطتِ القوتان - يعني الغضب والشهوة - بإشارة قوةِ العلمِ دلَّ على طريقِ الهداية.

وكذلك الغضبُ إذا زاد سهلَ عليه الضربُ والقتلُ، وإذا نقَصَ - الغضب -ذهبتِ الغيرةُ والحميةُ في الدين والدينا، وإذا توسَّطَ كان الصبرُ والشجاعةُ والحكمةُ ، وكذا الشهوةُ إذا زادتْ كان الفسقُ والفجورُ، وإن نقصَتْ كان العجزُ والفتورُ، وإن توسطت كانت العفةُ والقناعةُ وأمثالُ ذلك.

138- لا يُنالُ العلمُ إلا بالتواضع وإلقاءِ السمعِ ، قال الله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق:37). ومعنى كونِهِ ذا قلبٍ أنْ يكونَ قابلاً للعلم فَهماً ، ثم لا تعينُه القدرةُ على الفهم ، حتى يُلقيَ السمعَ وهو شهيدٌ حاضرُ القلبِ ليستقبلَ كلَّ ما أُلقيَ إليه بحُسْنِ الإصغاءِ والضراعةِ والشُّكرِ والفرحِ وقبولِ المنّةِ .

139- العلماءُ ثلاثةٌ إمّا مهلِكٌ نفسَه وغيرَه ، وهم المصرّحونَ بطلبِ الدنيا والمقبلون عليها ، وإمَّا مسعدٌ نفسَه وغيرَه وهم الداعون الخلْقَ إلى اللهِ سبحانه ظاهراً وباطناً، وإمَّا مهلِكٌ نفسَه مسعدٌ غيرَه ، وهو الذي يدعو إلى الآخرةِ وقدْ رفضَ الدنيا في ظاهرِه وقصدهِ في الباطنِ قَبولِ الخلْقِ و إقامةِ الجاه .

** **** **

140- اعلمْ أنَّه لا يقفُ على فسادِ نوعٍ مِنَ العلومِ مَنْ لا يقفُ على منتهى ذلك العلمِ حتي يساوي أعلمَهم في أصلِ ذلك العلمِ ثم يزيدُ عليه و يجاوزُ درجتَه فيطَّلعَ على ما لم يطَّلعْ عليه صاحبُ العلمِ مِنْ غورٍو غائلةٍ .

141- إذا فوّضتَ أمرَكَ للهِ سبحانَه وسألتَه أنْ يختارَ لك ما هو صلاحُك ، لم تلقَ إلَّا الخيرَ والسدادَ ولا تقع إلّا على الصلاحِ ؛ فقد وعدَكَ اللهُ وضمِنَ لك رزقَكَ وتكفَّلَ به بل أقسَمَ عليه، و أنت لا تطمئنُّ بوعده ولا تسكنُ إلى قولِه وضمانِه ، ولا تنظُرُإلى قسَمِه بل يضطربُ قلبُك ويهتمُّ.

142- كما أنَّ حقَّ أبناءِ الرجلِ الواحدِ أن يتحابُّوا ويتعاونُوا على المقاصدِ كلّها فكذلك حقُّ تلامذةِ الرجل الواحد التحابُّ والتوادُدُ ولا يكونون إلا كذلك إنْ كانَ مقصدُهم الآخرةَ ، ولا يكون إلا التحاسدُ والتباغضُ إن كان مقصدُهم الدنيا فإنَّ العلماءَ و أبناءَ الآخرةِ مسافرون إلى الله تعالى ، وسالكون إليه الطريق مِن الدنيا وسنوّها وشهورِها منازلُ الطريقِ ، والترافقُ في الطريقِ بين المسافرين إلى الأمصارسببُ التوادُّ والتحابُّ ؛ فكيف السفرُإلى الفردوسِ الأعلى والترافقُ في طريقه ولا ضيق في سعادةِ الآخرةِ فلذلك لا يكونُ بين أبناءِ الآخرةِ تنازعٌ ولا سعةَ في سعاداتِ الدنيا ، فلذلك لا ينفكُّ عن ضيق التزاحمِ والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجِب قولِهِ تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) سورة الحجرات(10) وداخلون في مقتضى قولِه تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) سورة الزخرف(67) .

143- مَهْما سمعتَ أمراً غريباً من أمورِالدّين جحدَه أهلُ الكياسةِ في سائر العلوم، فلا يغرنَّكَ جحودُهم عن قَبولِه إذ مِن المحال أن يظفَرسالكَ طريقِ المشرقِ بما يوجَدُ في المغرب، فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى : (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) الروم (7) وقال عزوجل (فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ) النجم (29-30).

144- إذا أحب الله عبدا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال ، و إذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيئ الأعمال ؛ ليكون ذلك أوجع في عتابه ، و أشد لمقته .

145- إن مشاهدة الفسق و المعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية، ويهون عليك أمرها، ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لإلفهم لها، ولورأوا خاتما من ذهب أوملبوسا من حريرعلى فقيه لاشتد إنكارهم عليه، و الغيبة أشد من ذلك!

146- اعلم أنَّ مِفتاحَ مَعرِفَةَ اللهِ تعالى هو معرفةُ النفسِ، كما قال سبحانه وتعالى: (سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفاقِ وَفي أَنفُسِهِم حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ). وجاء في الأثر: (مَنْ عرَفَ نفسَه فقَدْ عرَفَ ربَّه) [10].

وليسَ شيءٌ أقربَ إليكَ مِنْ نفسِك، فإذا لمْ تعرِفْ نفسَك، فكيفَ تعرفُ ربَّك؟ فإنْ قلتَ : إني أعرِفُ نفسي! فإنَّما تعرفُ الجسمَ الظاهرَ، الذي هو اليدُ والرجلُ والرأسُ والجثةُ، ولا تعرفُ ما في باطنِك مِنَ الأمرِ الذي به إذا غضبتَ طلبتَ الخصومة، وإذا اشتهيْتَ طلبتَ النكاحَ، وإذا جُعتَ طلبتَ الأكلَ ، وإذا عطشتَ طلبتَ الشربَ .

147- اعلم يا أَخي أنَّك متي كنتَ ذاهِباً الي تعرُّفَ الحقَّ بالرجالِ مِنْ غيرِ أنْ تتكِلَ على بصيرتِكَ فقدْ ضلَّ سعيُكَ فإنَّ العالِمَ مِنَ الرجالِ إنما هو كالشمسِ أو كالسراجِ يُعطِي الضوءَ ثُمَّ انظُرْ ببصرِكَ فإن كنتَ أعمي فما يغني عنك السراجُ و الشمسُ فمَنْ عوَّلَ علي التقليد فقدْ هلَكَ هلاكاً مطلقاً .

148- مَهْمَا نسبتَ الكلامَ وأسندتَه إلى قائِلٍ حَسُنَ فيه اعتقادَهم - أي اعتقاد الناس عموما - قبلوه وإنْ كانَ باطلاً، وإن أسندتَّه إلى قائلٍ ساءَ فيه اعتقادهُم ردُّوه وإنْ كان حقاً، فأبدًا يعرفونَ الحقَّ بالرجال، ولا يعرفونَ الرجالَ بالحقِّ، وهو غايةُ الضلالِ .

** * * * * **

10- ذكر ابن السمعاني : إنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي . قال النووي في فتاويه : معناه من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله والعبودية له عرف ربه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلى ، وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في " لطائف المنن " : سمعت شيخنا أبا العباس المرسي يقول : في هذا الحديث تأويلان :

أحدهما : أي من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزه وقدرته وغناه ، فتكون معرفة النفس أولا ثم معرفة الله من بعد .

والثاني : أن من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على أنه عرف الله من قبل ، فالأول حال السالكين ، والثاني حال المجذوبين .

وقال أبو طالب المكي في " قوت القلوب " : معناه إذا عرفت صفات نفسك في معاملة الخلق و أنك تكره الاعتراض عليك في أفعالك وأن يعاب عليك ما تصنعه عرفت منها صفات خالقك ، و أنه يكره ذلك فارض بقضائه وعامله بما تحب أن تعامل به(إسلام ويب)

149- اعلم أيُّها الحريصُ المقبِلُ على اقتباسِ العلمِ، المُظهِرُ مِنْ نفسِه صدقَ الرغبةِ، وفرْطَ التعطُّشِ إليه أنّك إن كنتَ تقصِدُ بالعلم المنافَسَةَ، والمباهاةَ، والتقدُّمَ على الأقرانِ، واستمالةَ وجوهِ الناسِ إليك، وجمْعَ حطَامِ الدنيا؛ فأنت ساعٍ في هدمِ دينِك، وإهلاكِ نفسِك، وبيعِ آخرتِك بدنياك؛ فصَفَقتُك خاسرةٌ، وتجارتُك بائرةٌ، ومعلِّمُك معينٌ لك على عِصيانِك، وشريكٌ لك في خُسرانِك، وهو كبائعِ سيفٍ لقاطِعِ طريقٍ .

150- لقدْ قيَّدتِ الأطماعُ ألسُنَ العلماءِ ، فسكتوا ، وإن تكلَّموا لم تساعدْ أقوالَهم أحوالُهم ، فلم يَنجحُوا .. ولو صدقوا وقصدوا حقَّ العِلمِ لأفلحوا ، ففسادُ الرعيةِ بفسادِ الملوكِ ، وفسادُ الملوكِ بفسادِ العلماءِ ، وفسادُ العلماءِ باستيلاءِ حبّ المالِ والجاهِ ومَنْ استولى عليه حبُّ الدنيا لم يقدِرْعلى محاسبةِ الأرذالِ ، فكيفَ بمواجهةِ الملوكِ والحكامِ؟ .

* *   * * * *   * *

151- مِنْ آدابِ الجلوسِ على الطريق : غضُّ البصر، ونُصرة المظلوم، وإغاثةُ الملهوف، وإعانةُ الضعيف، وإرشادُ الضَّال، وردُّ السَّلام، وإعطاء السَّائل، وتَرْكُ التلفُّت، والأمرُبالمعروف والنهيُ عن المنكر بالرِّفق واللُّطف، فإن أصرَّ فبالرَّهبة والعُنف، ولا يُصغي إلى السَّاعي إلَّا ببينة، ولا يتجسَّس، ولا يظنُّ بالنَّاسِ إلا خيراً.

152- مِنْ آدابِ الولدِ مع والديْه : يَسمعُ كلامَهُمَا، ويقومُ لقيامِهما، ويمتثِلُ لأمرِهما، ويلبِّي دعوتَهما، ويخفضُ لهما جناحَ الذُّلِ من الرحمةِ، ولا يُبرِّمُهما بالإلحاح، ولا يمُنُّ عليهما بالبرِّلهما، ولا بالقيام بأمرِهما، ولا ينظر إليهما شَزَرَاً، ولا يعصي لهماً أمراً.

153- مِنْ آدابِ الوالدِ مع أولاده : يُعينهم على بِرّه، ولا يكلّفهم مِنَ البِرِّفوق طاقتهم، ولا يُلِحّ عليهم في وقت ضَجَرِهِم، ولا يمنعهم من طَاعةِ ربِّهم، ولا يمُنُّ عليهم بتربيتِهم.

154- مِنْ آدابِ الأخ مع إخوانه : الاستبشار بهم عند اللِّقاء، والابتداء بالسَّلام، والمؤانسة والتوسِعة عِندَ الجُلوس، والتشييع عند القِيام، والإنصات عند الكَلام، وتُكره المجادلة في المقال، وحُسْن القول للحِكايات، وتَرْكُ الجواب عند انقضاء الجَوَاب، والنِّداء بأحبِ الأسماء.

155- الداعي الي محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران و السنة مغرور فإياك ان تكون من احد الفريقين و كن جامعا بين الاصلين فان العلوم

العقلية كالاغذية و العلوم الشرعية كالادوية و الشخص المريض يستضر بالغذاء متي فاته الدواء فكذلك امراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة .

** **** **

156- من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية و ان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمي في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين دائما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين و هيهات.

157- مثال العقل البصر السليم عن الآفات و الأذى و مثال القران الشمس المنتشرة الضياء فاخلق بان يكون طالب الاهتداء المستغني اذا استغني باحدهما عن الاخر في غمار الاغبياء فالمعرض عن العقل مكتفيا بنور القران مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضا للاجفان فلا فرق بينه و بين العميان ، فالعقل مع الشرع نور علي نوره.

158- اعلم أنك ما دُمتَ في هذه الحياة الدنيا؛ فأنتَ نائم و إنَّما يقظتك بعدَ الموت وعند ذلك تصيرُ أهلاً لمشاهدةِ صريحِ الحقّ كِفاحاً، وقبلَ ذلك لا تحتملُ الحقائقَ إلا مصبوبةً في قَالَبِ الأمثالِ الخياليةِ، ثم لجمودِ نظرِكَ على الحِسّ؛ تظُنُّ أنه لا معنى له إلَّا المتخيَّلَ وتغفَلُ عن الروحِ كما تغفلُ عن روحِ نفسِك ولا تدرك إلَّا قالبك [11].

159- إن غذاء القلب العلم و الحكمة و بهما حياته، كما أن غذاء الجسد الطعام، ومن فقد العلم فقلبه مريض و موته لازم و لكنه لا يشعر به؛ اذ حب الدنيا و شغله بها أبطل إحساسه؛ كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال و إن كان و اقعا؛ فإذا حطَّ الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه و تحسر تحسراً عظيما ثم لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن خوفه و المفيق من سكره بما أصابه من جراحات في حالة السكر أو الخوف، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء، فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتهوا.

11- يشير إلى قول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنها (الناسُ نيامٌ فإذا ماتُوا انتَبهوا) نسبه إليه السيوطي في كتابه الدرر المنتثرة – ص (133) وملا علي قاري في كتابه الأسرار المرفوعة – ص (353) (الموسوعة الحديثية – الدرر السنية) .

160- الإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته و دون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه و كونه مبتلى بمجاهدتها، فكلما انهمك في الشهوات انحط الى أسفل السافلين و التحق بغمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع الى أعلى عليين و التحق بأفق الملائكة.

161- اعلَمْ أنّ العبدَ كما يكونُ له وقتٌ في أوّلِ النهارِ يشارِطُ فيه نفسَه على سَبيلِ التَّوصِيَةِ بالحقّ فينبغِي أنْ يكونَ له في آخِرِ النهارِ ساعةٌ يطالِبُ فيها النفسَ ويُحاسِبُها على جميعِ حركاتِها و سكناتِها ، كما يفعلُ التجارُ في الدنيا مع الشركاءِ في آخِرِ سنةٍ أو شهرٍ أو يومٍ حرْصاً منهم على الدنيا، وخوفاً مِنْ أنْ يفوتهَم منها ما لو فاتَهم لكانتِ الخيرَةُ لهم في فو اته! و لو حصَلَ ذلك لهم فلا يبقى إلا أياماً قلائلَ. فكيف لا يُحاسِبُ العاقلُ نفسَه بما يتعلَّقُ به خطرُ الشقاوَةِ و السعادةِ أبَدَ الآبادِ؟ ما هذه المساهلةُ إلا عَنِ الغفْلةِ و الخُذلانِ و قلَّةِ التوفيقِ نعوذُ بالله مِنْ ذلك.

162- إن الإيمان القوي جاذب إلى العالم الذي يعبر عنه بالجنة؛ والغنى والثروة جاذب إلى الحياة الحاضرة وهي العالم الأسفل. فإن كان الجاذب إلى أشغال الدنيا أقوى أو مقاوما للجاذب الآخر صد عن المسير إلى الجنة. فكل من قويت بصيرته واستحكم إيمانه، وكثرت ثروته كثرةً تزاحم الإيمان لكن لا تقاومه لرجحان قوة الإيمان.

163- حَكَمَ اللهُ تعالى على كلَّ عبْدٍ أنْ ير اقِبَ نفسَه عند همّه بالفعلِ ، وسعيه بالجارحة ، فيتوقَّفَ عنِ الهمِّ وعنِ السعْيَ حتى ينكشفَ له بنورِ العِلمِ أنَّه للهِ تعالى فيمضيه ،أوْ هو لهوى النفسِ فيتَّقِيهِ ، ويزجرَ القلبَ عن الفكرِ فيه ،وعنِ الهمّ به فإنَّ الخُطوةَ الأولى في الباطلِ إذا لم تُدفَعْ أورثَتِ الرَّغبةَ، والرغبةُ تُورثُ الهمَّ , والهمَّ يُورثُ جزْمَ القصدِ , والقصدُ يُورثُ الفعل , والفعل يُورثُ البوارَ والمقتَ، فينبغي أنْ تحسم مادةَ الشرّ مِنْ منبعِه الأولِ، وهو الخاطر فإنَّ جميعَ ما وراءَه يتبعُهُ .

** * * * * **

164- طَريقُ السلوكِ الى اللهِ تعالى : يكونُ بالتبتُّلِ كما قال الله تعالى (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) المزمل (8) أي انقطِعْ اليه والانقطاعُ إليه يكونُ بالإقبالِ عليه والإعراضُ عن غيرِه وترجمتُه قوله : (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) المزمل (9) والاقبالُ عليه انَّما يكون بملازمةِ الذِّكر ، والاعراضُ عن

غيره يكونُ بمخالفَةِ الهوى والتنقّي عن كدوراتِ الدنيا وتزكيةِ القلب عنها والفلاحُ نتيجتُها كما قال الله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ) الأعلى (14-15) .

فعمدة الطريق أمران الملازمة والمخالفة الملازمة لذكر الله تعالى والمخالفة لما يشغل عن الله وهذا هو السفر الى الله وليس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر اليه فإنَّهما معاً ، أَوَمَا سمعت قوله تعالى وهو أصدق القائلين (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) سورة ق (16).

165- اعلَمْ أنَّه كما يطَّلعُ الطبيبُ الحاذِقُ على أسرارٍ في المعالجَاتِ يَستبعِدُها مَنْ لا يَعرِفُها فكذلك الأنبياءُ أطباءُ القلوبِ والعلماءُ بأسبابِ الحياةِ الأُخرويَّةِ فلا تتحكَّمْ على سَنَنِهم بمعقولِكَ فتهلكْ .. وفي دقائقِ سُنَنِ الشرعِ وآدابِهِ وفي عقائدِه التي تعبَّدَ الناسَ بها أسرارَ ولطائفَ ليست في سَعةِ العقلِ وقوَّتِهِ الإحاطةُ بها كما أنَّ في خواصّ الأحجارِ أموراً عجائبَ غابَ عن أهل الصَّنعةِ علمُها حتى لم يقدِرْ أحدٌ على أن يعرفَ السببَ الذي به يجذِبُ المغناطيسُ الحديدَ فالعجائبُ والغرائبُ في العقائدِ والأعمالِ و إفادتُها لصفاءِ القلوبِ ونقائِها وطهارتِها وتزكيتِها وإصلاحِها للترقّي إلى جوارِ اللهِ تعالى وتعرُّضِها لنفحاتِ فضلِه أكثرَ وأعظمَ ، فالعقولُ تقصِرُ عن إدراكِ ما ينفعُ في حياةِ الآخرةِ.

166- سعيدٌ مَنْ شرحَ اللهُ صدرَه للإسلامِ فهو على نورٍ مِنْ ربِّه فيتنبَّه بأدنى إشارةٍ لسلوكِ طريقٍ معوصةٍ وقطعِ عقباتٍ متعبةٍ ويُشرقُ في قلبه نورُ القرآنِ ونورُ الإيمانِ، وهو لشدّةِ نورِ باطنِه يجتزىء بأدنى بيان، فكأنَّه يكادُ زيتُه يضيء ولو لم تمسَسْه نارٌ؛ فإذا مسته نار فهو (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ) النور (35) ، وهذا لا يحتاج إلى نصٍّ منقولٍ في كلّ و اقعةٍ .

167- اعلم أنَّه لا مُبعِدَ عن لقاءِ اللهِ إلا اتّباعَ الشهواتِ والأنسَ بهذا العالَمِ الفاني والإكبابِ على حبّ ما لا بدَّ مِنْ فراقِه قطعاً وعُلِم أنَّه لا مقرّب مِنْ لقاء الله إلا قطعَ علاقةِ القلبِ عن زخرُفِ هذا العالَمِ والإقبالِ بالكليَّةِ على اللهِ طلباً للأُنس به بدوامِ ذكرِهِ وللمحبَّة له بمعرفةِ جلالِه وجمالِه على قدر طاقتِه، وعلمَ أنَّ الذنوبَ التي هي إعراضٌ عنِ اللهِ و اتّباعٌ لمحابّ الشياطين أعداءُ اللهِ المبعَدِينَ عن حضرتَه سببُ كونِه محجوباً مبعَداً عن اللهِ تعالى فلا يشكُّ في أنَّ الانصرافِ عن طريقِ البُعدِ واجبٌ للوصولِ إلى القُربِ .

** **** **

168- مَنْ لم يكنْ له محبوبٌ سوى اللهِ عزوجل ولا مطلوبَ سواه بل حظُّه الابتهاجُ بلقاءِ الله تعالى والقربِ منه والمرافقةِ مع الملأِ الأعلى المقرَّبين مِنْ حضرتِه فيقال إنَه يعبدُ الله تعالى لِله لا على معنى أنه غيرُ طالبٍ للحظِّ بل على معنى أنَّ اللهَ عزوجل هو حظُّه وليس يبغي وراءَه حظّاً .

169- مَنْ لم يُؤمن بلذة الْبَهْجَة بلقاءِ اللهِ عزوَجل ومعرفتِه والمشاهدةِ لَهُ والقربِ مِنْهُ لم يشتق إِلَيْهِ وَمن لم يشتق إِلَيْهِ لم يتَصَوَّر أَن يكون ذَلِك من حَظه فَلم يتَصَوَّر أَن يكون ذَلِك مقْصده أصلا فَلذَلِك يكون فِي عبَادَة الله تَعَالَى إِلَّا كالأجير السوء لَا يعْمل إِلَّا بِأُجْرَة طمع فِيهَا ، وَأكْثر الْخلق لم يَذُوقُوا هَذِه اللَّذَّة وَلم يعرفوها وَلَا يفهمون لَذَّة النّظر إِلَى وَجه الله عزوَجل وَإِنَّمَا إيمَانهم بذلك من حَيْثُ النُّطْق بِاللِّسَانِ فَأَما بواطنهم فَإِنَّهَا مائلة إِلَى التَّلَذُّذ بلقاء الْحور الْعين ومصدقة بِهِ فَقَط .

170-مَهْمَا ثبتَ أنَّ الزادَ هو التقوى وأنَّ التقوى شرطُها خلوُ القلبِ عن حُبِّ الدنيا فَلْيكُنْ الجُهدُ في تخليته عن حبِّها؛ وطريقُه أنْ يعرفَ الإنسانُ عيبَ الدنيا و آفتَها ، ويعرفَ شرفَ السعادةِ في الدَّار الآخرةِ وزينتَها ، ويعلمَ أنَّ في مراعاةِ الدنيا الحقيرةِ فوتَ الآخرةِ الخطيرةِ ، و أقلُّ آفاتِ الدنيا - وهي مستيقنةٌ لكلِّ عاقلٍ وجاهلٍ - أنَّها منقضيةٌ على القُربِ ، وسعادةُ الآخرةِ لا آخِرَ لها هذا إذا سَلمتِ الدنيا صافيةٌ عن الشوائبِ والأقذاءِ خاليةٌ عن المؤذياتِ والمكدِّراتِ، وهيهاتَ هيهاتَ فلمْ يسلمْ أحدٌ في الدنيا مِنْ طولِ الأذى ومقاساةِ الشدائِدِ .

171- الأنبياءُ عليهم السلامُ أطباءُ أمراضِ القلوبِ، و إنَّما فائدةُ العقلِ وتصرُّفُه أَنْ يشهدَ للنبوَّة بالتصديقِ ولنفسِهِ بالعمى عَن دركِ ما يُدرَك بعين النبوة، وَأنْ أخذ بأيدينا ويسلِّمَنا إليهم تسليمَ العُميان إلى المبصرين، وتسليمَ المرضى المتحيّرين إلى الأطباءِ المشفقين. فإلى ههنا مجرى العقل ومخطاهُ وهو معزولٌ عمَّا بعدَ ذلك، إلا عن تفهُّمِ ما يُلقِيه الطبيبُ إليه.

172- مَنْ نظر في أقوالِ الرسول صلى الله عليه وسلم، وما وردَ مِنْ الأخبارِ في اهتمامِه بإرشادِ الخلق، وتلطُّفه في جرِّ الناس بأنواعِ الرِّفق واللين واللّطفِ ، إلى تحسينِ الأخلاقِ وإصلاحِ ذات البين، وبالجملة إلى ما يُصلح به دينهم ودنياهم حصَلَ له علمٌ ضروريٌّ بأنَّ شفقتَه صلى الله عليه وسلم على أمَّتِه أعظم مِنْ شفقةِ الوالد على ولده.

وإذا نُظِرَ إلى عجائبِ ما ظهرَ عليه - صلى الله عليه وسلم - مِنْ الأفعال، وإلى عجائِب الغيبِ الذي أخبرَ عنه القرآنُ على لسانه، وفي الأخبار وإلى ما ذَكَره في آخر الزمان، فظهر ذلك كما ذكره، عُلِمَ عِلْماً ضروريّاً أنه بلغ الطَّورَ الذي وراءَ العقلِ، و انفتحتْ له - أي الناظر - **العينُ التي يَنكشِفُ منها**

الغيبُ الذي لا يُدركه إلا الخواصّ، والأمورُالتي لا يدركها العقلُ ؛ فهذا هو مِنهاجُ تَحصيلِ العلم الضروريّ بتصديقِ النَّبي صلى الله عليه وسلم.

173- معنى خلَافَةِ اللهَ على الْخلق إصلاحِ الْخلقِ وَلنْ يقدرعلى إصلاحِ أهل الدُّنْيَا مَنْ لَا يقدرعلى اصلاح أهل بَلَده ، وَلنْ يقدرعلى إصلاح أهل الْبَلَد من لا يقدرعلى اصلاح أهل منزله ؛ وَلَا يقدر على إصلاحِ أهل منزله مَنْ لا يَقدرعلى إصلاحِ نَفسه ، ومَنْ لَا يقدرعلى إصلاحِ نَفسه فَيَنْبَغِي أَن تقع الْبِدَايَة بإِصلاح الْقلبِ وسياسةِ النَّفس ، وَمنْ لم يُصلِحْ نَفسه وطمِعَ فِي إصلاحِ غَيره كَانَ مغروراً ، كَمَا كَمَا قَالَ الله تَعَالَى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّوَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَ أَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ) سورة البقرة (44).

174- مَنْ كان له عقلٌ وإنْ لم يكن عالماً فإنَّ عقلَه يكونُ له دليلاً، ومَنْ كان ذا علم وليس له عقلٌ عادت أمورُه كلُّها منعكسةٌ منقلبة، ومَنْ كان تامَّ العقلِ والعلمِ كان في الدنيا نبياً أو حكيماً أو إماماً فإنَّ جمالَ الإنسانِ وعزِّه ومرتبته وصلاحِ أحوال دنياه وآخرته بالعقلِ وتمامِه، فتتكامل صفاتُه و أقسامُه .

**   ****   **

175- اعلم أَنَّ النفسَ مركَبُ القلبِ، وللقلبِ عساكرٌ، كما قال سبحانه وتعالى: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) سورة المدثر (31) . والقلبُ مخلوقٌ لِعَملِ الآخرة طلباً لسعادتهِ، وسعادتُه معرفةُ ربّه عزَّ وجلَّ، و معرفةُ ربِّه تعالى تحصلُ له مِنْ صُنعِ اللهِ ، وهو مِنْ جملةِ عالمَه، ولا تحصل له معرفةُ عجائبِ العالَم إلا مِنْ طريق الحواسِّ، والحواسُّ مِنْ القلب، والقالب مركبه. ثم معرفةُ صيدِهِ، ومعرفةُ شبكتِهِ، والقالَب لا يقومُ إلا بالطعامِ والشراب والحرارة والرطوبة، وهو ضعيف على خطرٍ مِنْ الجوعِ والعطشِ في الباطنِ ، وعلى خطَرٍ مِنْ الماءِ والنارفي الظاهر، وهو مقابلُ أعداء كثيرة.

176- مَنْ لم يعرفْ قلبَه ليراقِبَه ويراعيَه ويترصَّد لما يلوحُ مِنْ خزائنِ الملكوتِ عليه وفيه فهو ممّن قال الله تعالى فيه (نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون) سورة الحشر (19) فمعرفةُ القلبِ تعني معرفةَ حقيقةِ أوصافِهِ .

**   ****   **

177- اعلم أَنَّه ما مِنْ أحدٍ إلا ويدخلُ في قلبِه الخاطرُ المستقيمُ، وبيانُ الحقّ على سبيلِ الإلهام ؛ وذلك لا يدخلُ مِنْ طريق الحواس، بل يدخلُ في القلب، لا يُعرفُ مِنْ أين جاء؛ لأنَّ القلبَ من عالَمِ الملكوتِ، والحواسُّ مخلوقةٌ لهذا العالَم. (عالم الملك) .

178- كما أَنَّ طالب رتبة الفقه لا يحرم هذه الرتبة بتعطيل ليلة، ولا ينالها بزيادة ليلة، فكذلك طالب كمال النفس لا ينالها بعبادة يوم، ولا يحرمها بنقصان يوم. ولكن تعطله في يوم واحد، يدعو إلى مثله. ثم يتداعى قليلا قليلا، حتى تأنسَ النفسُ بالكسلِ وتَهجرَ التحصيلَ فيفوتُه فضيلةُ الفقْهِ، فكذا صغائرُ المعاصي، بعضُها يدعو إلى بعضٍ.

179- كما أَنَّ تكرارَ ليلةٍ لا يُحَسُّ بأثَرِه في تفقُّه النفسِ، فإنَّه يَظهرُ شيئاً فشيئاً، مِثْلَ نموِّ البدنِ وارتفاعِ القامةِ، فكذلك الطاعةُ الواحدةُ ، قد لا يُحَسُّ بأثرها في النفس وكمالِها في الحال، ولكن يَنبغي أنْ لا يُستهانَ بها، فإنَّ الجملة مؤثرة، و إنَّما جُمعَتْ مِن الآحاد، فلكلِّ واحدٍ تأثيرٌ. ثُمَّ ما مِنْ طاعةٍ إلَّا ولها أثرٌ ما وإنْ خفي، وكذلك المعصيةُ .

180- مِنْ أسرارِ حكمةِ الشريعةِ أنَّ كلَّ ما يَطلبُ الطبعُ فيه الطَّرَفُ الأَقصى وكانَ فيه فسادٌ جاءَ الشرعُ بالمبالغةِ في المنع مِنْه على وجه يومِىء عندَ الجاهلِ إلى أنَّ المطلوبَ مضادة ما يقتضيه الطبعُ بغايةِ الإمكان والعالِمُ يدرك أنَّ المقصودَ الوسطَ لأنَّ الطبعَ إذا طلبَ غايةَ الشِّبعِ فالشرعُ ينبغي أنْ يمدَحَ غايةَ الجوعِ حتى يكونَ الطبعُ باعثاً والشرعُ مانعاً فيتقاومانِ ويحصُلُ الاعتدالُ فإنَّ مَنْ يقدِرُ على قمعِ الطبع بالكليَّة بعيدٌ فيَعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فإنه إنْ أسرَفَ مسرفٌ في مضادَّةِ الطبعِ كان في الشرعِ أيضاً ما يدلُّ على إساءتِه كما إنَّ الشرعَ بالَغَ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علِمَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ حالِ بعضهم أنَّه يصومُ الدهرَ كلَّه ويقومُ الليلَ كلَّه نهى عنه .

** * * * * **

181- اعلم أَنَّه بان لي على الضرورة بأنَّ أدويةَ العباداتِ بحدودِها ومقاديرِها المحدودةِ المقدَّرةِ مِنْ جهة الأنبياء، لا يُدرَكُ وجهُ تأثيرِها ببضاعةِ عقلِ العقلاءِ، بل يجبُ فيها تقليدُ الأنبياءِ الذين أدركوا تلكَ الخواصّ بنورِ النبوةِ، لا ببضاعةِ العقل.

وكما أنَّ الأدويةَ تُركَّبُ مِنْ أخلاطٍ مختلفةٍ النوعَ والمقدارَ وبعضُها ضِعفَ البعضِ في الوزن والمقدار، فلا يخلو اختلافُ مقاديرِها عن سرٍّ هو مِنْ قبيلِ الخواصّ، فكذلِك العباداتُ التي هي

أدويةُ داءِ القلوبِ، مركَّبةٌ مِنْ أفعالٍ مختلفةٍ النوعَ والمقدارَ، حتى إنَّ السجودَ ضعفَ الركوع، وصلاةُ الصبح نصفَ صلاةِ العصرِ في المقدار، ولا يخلو ذلك عن سرٍّ إلهي فيها يقتضيها بطريق الخاصيَّةِ.

182- اعلم أَنَّ الدنيا سريعةُ الفناءِ قريبةُ الانقضاءِ تعِدُ بالبقاءِ ثمَّ تُخلِفُ في الوفاءِ تنظر إليها فتراها ساكنةً مستقرةً وهي سائرةٌ سيراً عنيفاً ومرتحلةٌ ارتحالاً سريعاً ، ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة .

183- كما أَنَّ الطعامَ كلَّما كان ألذَّ طعماً وأكثر دسماً وأظهرَ حلاوةٍ كان رجيعُه أقذر وأشد نَتناً فكذلك كلُّ شهوةٍ في القلبِ هي أشهى وألذ و أقوى فتنتُها وكراهتُها والتأذِّي بها عندَ الموتِ أشدُّ بل هي في الدنيا مشاهدة فإنَّ مَنْ نُهبتْ دارُه وأُخذَ أهلُه ومالُه وولدُه فتكونَ مصيبتُه وألمُه وتفجُّعُه في كلِّ ما فَقَدَ بقدر لذَّتِه به وحبِّه له وحرصِه عليه فكلُّ ما كان عندَ الوجودِ أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمرُّ ولا معنى للموت إلا فقْدَ ما في الدنيا .

184- إنما سلَّطَ اللهُ البلاءَ والمحنَ على الأنبياءِ والأولياءِ ثم الأمثلَ فالأمثلَ كلُّ ذلك نظراً لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويُلزِمُه ألَمَ الفصدِ والحجامة شفقةً عليه وحبّاً له لا بخلاً عليه وقد عرفتَ بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا .

185- إنَّ المحبةَ للهِ هي الغايةُ القصوى مِن المقاماتِ والذروة العليا من الدرجات فما بعدَ إدراكِ المحبةِ مقامٌ إلا وهو ثمرةٌ مِنْ ثمارِها وتابِعٌ مِن توابعِها كالشوقِ والأُنْسِ والرِّضا وأخواتها ولا قبْلَ المحبةِ مقامٌ إلا وهو مقدمةٌ مِنْ مقدّماتها كالتوبةِ والصبرِ والزهدِ .

186- البصيرة الباطنة أقوى مِنْ البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه مِنْ الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة .

187- مَنْ أحبَّ غيرَ اللهِ لا مِنْ حيثُ نسبتِه إلى اللهِ فذلك لجهلِه وقصورِه في معرفةِ اللهِ تعالى وأمّا حبُّ الرسولِ صلى الله عليه وسلم فهو محمودٌ لأنه عينُ حبِّ اللهِ تعالى ، وكذلك حبُّ العلماءِ

والأتقياءِ ؛ لأنَّه محبوبُ المحبوبِ وكلُّ ذلك يرجِعُ إلى حبّ الأصلِ فلا يتجاوزْه إلى غيرِه فلا محبوبَ بالحقيقةِ عند ذوي البصائرِ إلا اللهُ تعالى ولا مستحِقٌّ للمحبَّةِ سواه .

188- كيف يُتصوَّرُ أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم أن المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإن الكل مِنْ آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر.

* * * * * * **

189- جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا ترجع إلى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى .

190- الراسخون في العلم والعارفون بالله تعالى من الأولياء وإن جاوزوا في المعرفة حدود العوام وجالوا في ميدان المعرفة وقطعوا من بواديها أميالاً كثيرة فما بقي لهم مما لم يبلغوه وهو بين أيديهم أكثر بل لا نسبة لما طوي عنهم إلى ما كشف لهم لكثرة ما المطوي وقلة المكشوف قال سين الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه (اللَّهُمَّ أعُوذُ برِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كما أثْنَيْتَ علَى نَفْسِكَ) رواه مسلم ، وبالنسبة للمكشوف قال صلوات الله وسلامه عليه (أنا أعرفكم بالله وأخوفكم لله) .

191- خُلِقَ الناسُ أشتاتاً متفاوتينَ كمعادِنِ الذهبِ والفضةِ وسائرِ الجواهرِ فانظرْ إلى تفاوتِها صورةً ولوناً وخاصيّةً ونفاسَةً ، فكذلك القلوبُ كالمعادن تختلفُ صورةً ولوناً وخاصيّةً بالنسبةِ لجواهرِ المعارفِ فبعضُها معدِنُ النبوَّةِ والولايةِ ومعرفةِ اللهِ تعالى ، وبعضُها معدنُ الشهواتِ البهيميّةِ والأخلاقِ الشيطانيّةِ بل ترى الناسَ يتفاوتون في الحِرَفِ والصناعاتِ ، فكذلك معرفةُ اللهِ تعالى.

* * * * * * **

192- مَنْ همّتُه مَا يدْخلُ فِي بَطْنه فَقيمتُه مَا يخرجُ مِنْهُ، وَمَنْ يكنْ لَهُ همَّة سوى الله عز وَجل فدرجته على قدر همته وَمَنْ رقى علمه عَن دَرَجَة المتخيلات والمحسوسات وَقدس إِرَادَته عَن مُقْتَضى الشَّهَوَات فقد نزل بحبوحة حَظِيرَة الْقُدس .

193- العارفونَ باللهِ تعالى يتفاوتونَ في سِعةِ متنزَّهاتِهم بقدْرِ تفاوتِهم في اتّساعِ نظرِهِم وسعةِ معارفِهِم وهم درجاتٌ عندَ اللهِ ، ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوي الكمال مِنْ لذات الحواس كلها .

194- معرفةُ اللهِ وصفاتِه و أفعالِه وملكوتِ سمو اتِه وأسرارِ مُلكِه أعظمُ لذةً من الرياسة فهذا يختَصُّ بمعرفته مَنْ نال رتبةَ المعرفةِ وذاقَها ولا يمكن إثباتُ ذلك عند مَنْ لا قلبَ له؛ لأنَّ القلبَ معدنُ هذه القوة كما أنَّه لا يمكنُ إثباتُ رجحانِ لذةِ الوِقاعِ على لذة اللعبِ بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذةِ شمِّ البنفسج عند العنّينِ لأنَّه فقَدَ الصفةَ التي بها تُدرَكُ هذه اللذةُ ولكن مَنْ سلِمَ مِنْ آفة العِنَّةِ وسلِمتْ حاسةُ شمّه أدرَكَ التفاوتَ بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يُقال مَنْ ذاقَ عرفَ .

195- لعمري طلاب العلوم وإنْ لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات و انحلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فإنها أيضا معارف وعلوم وإنْ كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشئ اليسير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء و أنه لا لذة فوقها .

** * * * * **

196- العارفونَ ينظرونَ إلى العاكفينَ في حضيضِ الشهواتِ نَظرَ العقلاءُ إلى الصبيانِ عند عكوفهم على لذات اللعب. ولذلك تراهُم مستوحشين من الخلق، ويؤثرونَ العُزلةَ والخلوةَ، فهي أحبُّ الأشياءِ إليهم؛ ويهربون مِنَ الجاهِ والمالِ، فإنَّه يَشغلُهم عن لذةِ المناجاة، ويُعرِضونَ عن الأهلِ والولدِ ترفُّعاً عن الاشتغالِ بهم عنِ اللهِ تعالى، فترى الناسَ يضْحكونَ منهم ، فيقولونَ في حقِّ مَنْ يرونَه منهم أنَّه موسوسٌ، بل مدبر ظهرَ عليه مبادئُ الجنونِ، وهم يضحكون على

الناسِ لقناعتِهم بمتاعِ الدنيا ويقولون: (إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) سورة هود (38-39) .

197- العارفُ مشغولٌ بتهيئةِ سفينةِ النجاةِ لغيرِه ولنفسِه لعلمِه بخطرِ المعاد، فيضحكُ على أهلِ الغفلةِ ضحِكَ العاقلِ على الصبيان ، إذا اشتغلوا باللعب وقد أظلَّ على البلد سلطان قاهر، يريد أنْ يُغيرَعلى البلدِ فيَقتُلَ بعضَهم ويخلَع بعضَهم.

والعجَبُ منكَ أيها المسكينُ المشغولُ بجاهك الخطيرالمنغص ومالك اليسيرالمشوش، قانعا به عن النظرإلى جمال الحضرة الربوبية وجلالها مع إشراقه وظهوره، فإنه أظهرمِنْ أن يطلب، وأوضح مِنْ أن يعقل، ولم يمنع القلوب مِنَ الاشتغال بذلك الجمال، بعد تزكيتها عن شهوات الدنيا، إلا شدة الإشراق مع ضعف الأحداق، فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق بنوره، واحتجب عنهم لشدة ظهوره.

198- إيَّاك أَنْ تلعنَ شيئاً ممَّا خلقَ اللهُ تعالى مِنْ حيوانٍ أو طعامٍ أو إنسانٍ بعينِه، ولا تَقطعْ بشهادتِك على أحدٍ مِنْ أهل القبلةِ بشركٍ أو كفرٍ أو نفاقٍ ؛ فإنَّ المطَّلِعَ على السرائرِ هو الله تعالى، فلا تدخلْ بين العبادِ وبين اللهِ تعالى، واعلم أنك يومَ القيامةِ لا يُقالُ لك : لِمَ لَمْ تلعنْ فلاناً، ولِمَ سكتَ عنْه؟ بل لو لم تعلنْ إبليسَ طولَ عُمُرك، ولم تشغلْ لسانَك بذكْرِه لم تسأل عنه ولم تطالَب به يوم القيامة.

وإذا لعنتَ أحداً مِنْ خلقِ الله تعالى طُولبتَ به، ولا تذُمَّ شيئاً ممَّا خلقَ اللهُ تعالى، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يَذمُّ الطعامَ الردىءَ قطّ، بل كان إذا اشتهى شيئاً أكلَه وإلا تركَه.

* *   * * * *   * *

199- إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا مَوْجُود سواهُ إِلَّا هُوَ حَادث بِفعْلِه وفائض من عدله على أحسن الْوُجُوه وأكملها وأتمها وأعدلها وَأَنه حَكِيم فِي أَفعاله عَادل فِي أقضيته لَا يُقَاس عدله بِعدْل الْعباد إِذْ العَبْد يتَصَوَّرمِنْهُ الظُّلم بتصرفه فِي ملك غَيره وَلَا يتَصَوَّرالظُّلم من الله تَعَالَى فَإِنَّهُ لَا يُصَادف لغيره ملكا حَتَّى يكون تصرفه فِيهِ ظلماً .

200- شرَفُ الإنسانِ وفضيلتُه التي فاقَ بها جملةٌ مِن أصنافِ الخَلقِ باستعدادِه لمعرفةِ اللهِ سبحانَه التي هي في الدنيا جمالُه وكمالُه وفخرَه ، وفي الآخرة عدَّتُه وذُخرُه ، وإنما استعدَّ للمعرفةِ بقلبه لا بجارحةٍ مِنْ جوارحِه ، فالقلبُ هو العالم بالله وهو المتقرب إلى الله وهو العامل

لله وهو الساعي إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية .

201- الْعبادُ فِي مُشَاهدَة الحُكم - الإلهي - على دَرَجَات : فَمن نَاظرإِلَى الخاتمة أنه بِمَاذَا يخْتم لَهُ وَمن نَاظرإِلَى السَّابِقَة أنه بِمَا قضى لَهُ فِي الْأَزَل وَهُوَ أَعلَى لِأَن الخاتمة تبع السَّابِقَة وَمن تَارِك للماضي والمستقبل هُوَ ابْن وقته فَهُوَ نَاظرإِلَيْهِ رَاض بمو اقع قدرالله عزوَجل وَمَا يظْهرمِنْهُ وَهُوَ أَعلَى مِمَّا قبله وَمن تَارِك للْحَال والماضي والمستقبل مُسْتَغْرق الْقلب بالحكم ملازم فِي الشُّهُود وَهَذِه هِيَ الدرجَة الْعليا.

202- حَظّ العَبْد من اسْم الله تعالى الرَّحْمَن : أَن يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عَن طَرِيق الْغَفْلَة إِلَى الله عزوَجل بالوعظ والنصح بطرِيق اللطف دون العنف وَأَن ينظرإِلَى العصاة بِعَين الرَّحْمَة لَا بِعَين الإزراء وَأَن يكون كل مَعْصِيّة تجْرِي فِي الْعَالم كمصيبة لَهُ فِي نَفسه فَلَا يألوجهدا فِي إِزَالَتهَا بِقدروَسعه رَحْمَة لذَلِك العَاصِي أَن يتَعَرَّض لسخط الله وَيسْتَحق الْبعد من جواره

203- حَظّ العَبْد من اسْم الله تعالى الرَّحِيم : أَن لَا يدع فاقة لمحتاج إِلَّا يسدها بِقدرطاقته وَلَا يتْرك فَقِيرا فِي جواره وبلده إِلَّا ويقوم بتعهده وَدفع فقره إِمَّا بِمَالِه أَو جاهه أَو السَّعْي فِي حَقه بالشفاعة إِلَى غَيره فَإِن عجزعَن جَمِيع ذَلِك فيعينه بِالدُّعَاءِ وَإِظْهَار الْحزن بِسَبَب حَاجته رقة عَلَيْهِ وعطفا حَتَّى كَأَنَّهُ مساهم لَهُ فِي ضره وَحَاجته سُؤال وَجَوَابه

204- الْعَزِيزُمن الْعباد من يحْتَاج إِلَيْهِ عباد الله فِي أهم أُمُورهم وَهِي الْحَيَاة الأخروية والسعادة الأبدية وَذَلِكَ مِمَّا يقل لَا محَالة وجوده ويصعب إِدْرَاكه وَهَذِه رُتْبَة الْأَنْبِيَاء صلوَات الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ ويشاركهم فِي الْعِزّمن ينْفَرد بِالْقربِ من درجتهم فِي عصره كالخلفاء وورثتهم من الْعلمَاء وَعزة كل وَاحِد مِنْهُم بِقدرعلورتبته عَن سهولة النّيل والمشاركة وبقدرعنائه فِي إرشاد الْخلق .

205- الْجَبَّارمن الْعباد من ارْتَفع عَن الأتباع ونال دَرَجَة الاستتباع وَتفرد بعلورتبته بِحَيْثُ يجْبر الْخلق بهيئته وَصورته على الِاقْتِدَاء بِهِ ومتابعته فِي سمته وَسيرَته فَيُفِيد الْخلق وَلَا يَسْتَفِيد ويؤثر وَلَا يتأثرويستتبع وَلَا يتبع وَلَا يُشَاهدهُ أحد إِلَّا ويفنى عَن مُلَاحظَة نَفسه وَيصِير متشوقا إِلَيْهِ غير ملتفت إِلَى ذَاته وَلَا يطْمع أحد فِي استدراجه واستتباعه وَإِنَّمَا حظي بِهَذَا الْوَصْف سيد الْبشر صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَيْثُ قَالَ : (والذي نفسي بيده لَوكَانَ مُوسَى بن عمرَان حَيا مَا وَسعه إِلَّا

اتباعي) رواه أحمد والبيهقي ، وقال صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : (أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

206- الحفيظُ مِنَ الْعبادِ مَنْ يحفظُ جوارحَه وَقَلبَه ويحفظُ دينَه عَن سطوةِ الْغَضَبِ وخلابةِ الشَّهْوَةِ وخداعِ النَّفسِ وغرورِ الشَّيْطَان فَإِنَّهُ على شفا جرف هار وَقد اكتنفته هَذِه المهلكات المفضية إِلَى الْبَوَار.

207- حظ العبد من اسمه تعالى العفو: أَن يعْفُوَ عَن كلِّ مَنْ ظلَمَه ، بل يُحسِنُ إِلَيْهِ كَمَا يرى اللهَ تَعَالَى محسناً فِي الدُّنْيَا إِلَى العصاة والكفرة غير معاجل لَهُم بالعقوبة بل رُبمَا يعْفُو عَنْهُم بِأَن يَتُوب عَلَيْهِم وَإِذا تَابَ عَلَيْهِم محا سيئاتهم إِذْ التائب من الذَّنب كمن لَا ذَنْب لَهُ وَهَذَا غَايَة المحو للجناية .

* *　　* * * *　　**

208- الهداة مِنْ الْعباد الْأَنْبِيَاء وَالْعُلَمَاء الَّذين أرشدوا الْخلق إِلَى السَّعَادَة الأخروية وهدوهم إِلَى صِرَاط الله الْمُسْتَقيم بل الله الْهَادِي لَهُم على ألسنتهم وهم مسخرون تَحت قدرته وتدبيره .

209- الْعَظِيم من الْعباد الْأَنْبِيَاء وَالْعُلَمَاء الَّذين إِذا عرف الْعَاقِل شَيْئا من صفاتهم امْتَلَأَ بالهيبة صَدره وَصَارَ مُسْتَوفى بالهيبة قلبه حَتَّى لَا يبْقى فِيهِ متسع ، فالنبيُّ عَظِيم فِي حقّ أمته ؛ وَالشَّيْخ فِي حقِّ مريدِه والأستاذُ فِي حق تِلْمِيذه ؛ إِذْ يقصر عقله عَن الْإِحَاطَة بكنه صِفَاته ؛ فَإِن ساواه أَو جاوزه لم يكن عَظِيماً بِالْإِضَافَة إِلَيْهِ ؛وكلُّ عَظِيم يُفْرَضُ غيرَ الله عز وَجل فَهُوَ نَاقص وَلَيْسَ بعظيم مُطلق ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يظْهر بِالْإِضَافَة إِلَى شَيْء دون شَيْء سوى عَظمَة الله تَعَالَى فَإِنَّهُ الْعَظِيم الْمُطلق لَا بطرِيق الْإِضَافَة.

210- الحميدُ مِنَ العبادِ مَنْ حُمِدَتْ عقائدُه وأخلاقُه وأعمالُه و أقوالُه كلُّهَا مِنْ غير مثنوية وَذَاكَ هُوَ مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَمَنْ يقرب مِنْهُ مِنَ الْأَنْبِيَاء وَمَنْ عداهم مِنَ الْأَوْلِيَاء وَالْعُلَمَاء وكل وَاحِد مِنْهُم حميد بِقدر مَا يحمد من عقائده وأخلاقه وأعماله و أقواله وَإِذا كَانَ لَا يَخْلُو أحد عَن مذمة وَنقص وإِنْ كثرت محامده ، فالحميد الْمُطلق هُوَ الله تَعَالَى.

211- حظُّ العبدِ مِنْ اسمه تعالى المؤمن : أَنْ يَأْمَنَ الْخلقُ كلُّهم جَانِبه بل يَرْجُو كل خَائِف الاعتضاد بِهِ فِي دفع الْهَلَاك عَن نَفسه فِي دينه ودنياه ، كَمَا قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم

(المسلمُ من سلم الناسُ من لسانه ويدِه، والمؤمنُ من أمنه الناسُ على دمائهم وأموالهم)[12]، وأحق الْعباد باسم الْمُؤمن من كَانَ سَببا لأمن الْخلق من عَذَاب الله بالهداية إِلَى طَرِيق الله عز وَجل والإرشاد إِلَى سَبِيل النجَاة وَهَذِه حِرْفَة الْأَنْبِيَاء وَالْعُلَمَاء.

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَثَلِي ومَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أوْقَدَ نارًا، فَجَعَلَ الجَنادِبُ والْفَراشُ يَقَعْنَ فيها، وهو يَذُبُّهُنَّ عَنْها، و أنا آخِذٌ بحُجَزِكُمْ عَنِ النّارِ، و أنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِن يَدِي) رواه مسلم .

* * * * * * * *

212- للْعَبد حَظّ من وصف الْعَلِيم لَا يكَاد يخفى وَلَكِن يُفَارق علمه علم الله تَعَالَى فِي الْخَواص الثَّلَاث :

إِحْدَاهَا : المعلومات فِي كثرتها فَإِن مَعْلُومَات العَبْد وَإِن اتسعت فَهِيَ محصورة فِي قلبه فَأنى يُنَاسب مَا لَا نِهَايَة لَهُ .

وَالثَّانية : أَن كشفه وَإِن اتَّضَح فَلَا يبلغ الْغَايَة الَّتِي لَا يُمكن وَرَاءَهَا بل تكون مشاهدته للأشياء كَأَنَّهُ يَرَاهَا من وَرَاء ستر رَقِيق وَلَا تنكرن دَرَجَات الْكَشْف فَإِن البصيرة الْبَاطِنَة كالبصر الظَّاهِر وَفرق بَين مَا يَتَّضِح فِي وَقت الْإِسْفَار وَبَين مَا يَتَّضِح ضحوة النَّهَار.

وَالثَّالِثَة : أَن علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالأشياء غير مُسْتَفَاد من الْأَشْيَاء بل الْأَشْيَاء مستفادة مِنْهُ وَعلم العَبْد بالأشياء تَابع للأشياء وَحَاصِل بهَا .

213- حظُّ العبدِ مِنْ اسمِه تعالى العدل : حَظّ العَبْد من الْعدْل لَا يخفى فَأول مَا عَلَيْهِ من الْعدْل فِي صِفَات نَفسه وَهُوَ أَن يَجْعَل الشَّهْوَة وَالْغَضَب أسيرين تَحت إِشَارَة الْعقل وَالدّين وَمهما جعل الْعقل خَادِمًا للشهوة وَالْغَضَب فقد ظلم هَذَا جملَة عدله فِي نَفسه وتفصيله مُرَاعَاة حُدُود الشَّرْع كلهَا وعدله فِي كل عُضْو أَن يَسْتَعْمِلهُ على الْوَجْه الَّذِي أذن الشَّرْع فِيهِ وَأما عدله فِي أَهله وَذَوِيهِ ثمَّ فِي رَعيته إِن كَانَ من أهل الْوَلَايَة فَلَا يخفى .

214- حظُّ العبدِ مِنْ اسمِه تعالى العدل أيضاً : أَن لَا يعْتَرض عَلَيْهِ تعالى فِي تَدْبيره وَحُكمِه وَسَائِر أَفعالِه وَ افق مُرَاده أَو لم يُوَ افق لِأَن كل ذَلِك عدل وَهُوَ كَمَا يَنْبَغِي وعَلى مَا يَنْبَغِي وَلَو لم يفعل مَا فعله لحصل مِنْهُ أَمر آخر هُوَ أعظم ضَرَرا مِمَّا حصل كَمَا أَن الْمَرِيض لَو لم يحتجم لتضرر

12- أخرجه الترمذي (2627) باختلاف يسير، والنسائي (4995)، وأحمد (8918) واللفظ لهما.

ضَرَرا يزِيد على ألم الْحجامَة وَبِهَذَا يكون الله تَعَالَى عدلاً وَالْإِيمَان بِهِ يقطع الْإِنْكَار والاعتراض ظَاهرا وَبَاطنا وَتَمَامه أَن لَا يسب الدَّهْر وَلَا ينْسب الْأَشْيَاء إِلَى الْفلك وَلَا يعْتَرض عَلَيْهِ كَمَا جرت بِهِ الْعَادة بل يعلم أَن كل ذَلِك أَسبَاب مسخرة وَأَنَّهَا رتبت ووجهت إِلَى المسببات أحسن تَرْتِيب وتوجيه بأقصى وُجُوه الْعدْل واللطف .

215- حظُّ العبدِ مِنْ اسمِه تعالى اللطيفِ : الرِّفْق بعبادِ اللهِ عزَّوَجلَّ والتلطُّف بهم فِي الدعْوَة إِلَى الله تَعَالَى وَالْهِدَايَة إِلَى سَعَادَة الْآخِرَة من غير إزراء وعنف وَمن غير تعصب وخصام وَأحسن وُجُوه اللطف فِيهِ الجذب إِلَى قبُول الْحقِّ بالشمائلِ والسيرةِ المرضيةِ والأعمالِ الصَّالِحَة ، فَإِنَّهَا أوقع وألطف من الْأَلْفَاظ المزينة .

216- حظُّ العبدِ مِنْ اسمِه تعالى الخبيرِ: أَنْ يكون خَبِيراً بِمَا يجْرِي فِي عالَمه ، وعالَمه قلبُه وبدنُه والخفايا الَّتِي يَتَّصِف الْقلب بهَا من الْغِشّ والخيانةِ والتطواف حول العاجلةِ وإضمارِ الشَّرّ وَإِظْهَار الْخَيْر والتجمل بِإِظْهَار الْإِخْلَاص مَعَ الإفلاس عَنهُ لَا يعرفهَا إِلَّا ذُو خبْرَة بَالِغَة قد خَبِر نَفسه ومارسها وَعرف مكْرهَا وتلبيسَها وخدعَها فحاذرها وتشمر لمعاداتها وَأخذ الحذر مِنْهَا فَذَلِك من الْعباد جدير بِأَن يُسمى خَبِيراً.

** **** **

217- المؤمنون بأَلْسِنَتِهم وعقائدِهم إذا ضيَّعوا أمرَ الله تعالى وهى الأعمال الصالحة ، وتدنسوا بالشهوات - وهم مشاركون الكفار فى هذا الغرور- فالحياةُ الدنيا للكافرين والمؤمنين جميعاً فهذا غرورٌ ومنشأُ الغرورِ الجهلُ بالله تعالى وبصفاته ؛ فإنَّ مَنْ عرَفَ اللهَ تعالى فلا يأمنُ مِنْ مكر الله ، وينظرون إلى فرعونَ وهامانَ وثمودَ وماذا حلَّ بهم ؛مع أنَّ اللهَ تعالى أعطاهم من المال ؛ وقد حذَّرَ الله تعالى مكره فقال تعالى: (فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) الأعراف(99) وقال تعالى: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) آل عمران (54).. وقال تعالى: (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) الطارق (17).. فمَنْ أُولِيَ نعمةً يَحذَر أنْ تكون نقمة.

218- يَنْبَغِي أَن يتعطش العَبْد إِلَى أَن يصير بِحَيْثُ ينفتح بِلِسَانِهِ مغاليق المشكلات الإلهية وَأَن يَتَيَسَّر بمعرفته مَا يتعسر على الْخلق من الْأُمُور الدِّينِيَّة والدنيوية ليَكُون لَهُ حَظّ من اسْمه تعالى الفتاح .

** **** **

219- حظُّ العبدِ مِنْ اسمِه تعالى البصيرِ أمران :

أَحدهمَا :أَن يعلم أَنه خلق لَهُ الْبَصَر لينْظر إِلَى الْآيَات وَإِلَى عجائب الملكوت وَالسَّمَوَات فَلَا يكون نظرة إِلَّا عِبْرَة قيل لعيسى عَلَيْهِ السَّلَام هَل أحد من الْخلق مثلك فَقَالَ من كَانَ نظره عِبْرَة وصمته فكرة وَكَلَامه ذكرا فَهُوَ مثلي

وَالثَّانِي : أَن يعلم أَنه بمرأى من الله عزوَجل ومسمع فَلَا يستهين بنظره إِلَيْهِ واطلاعه عَلَيْهِ وَمن أخْفى عَن غير الله مَا لَا يخفيه عَن الله فقد استهان بِنَظَر الله عزوَجل والمراقبة إِحْدَى ثَمَرَات الْإِيمَان بِهَذِهِ الصّفة فَمن قارف مَعْصِيّة وَهُوَ يعلم أَن الله عزوَجل يرَاهُ فَمَا أجسره وَمَا أخسره وَمن ظن أَن الله تَعَالَى لَا يرَاهُ فَمَا أظلمَه و أكفرَه.

220- الْوَلِيّ من الْعباد مَنْ يحبُّ الله عزوَجل ؛ وَيُحبُّ أولياءه وينصره وينصرُ أولياءَه ويعادي أعداءَه وَمِنْ أعدائه النَّفسُ والشيطانُ فَمَنْ خذلَهما وَنصرَ أمرَ اللهِ تَعَالَى ووالى أَوْلِيَاء الله وعادى أعداءه فَهُوَ الْوَلِيّ من الْعباد .

221- الْعَبْدُ إِنَّمَا يكون وَاحِدًا إِذا لم يكن لَهُ فِي أَبنَاء جنسه نَظِير فِي خصْلَة من خِصَال الْخَيْر وَذَلِكَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَبنَاء جنسه وبالإضافة إِلَى الْوَقْت إِذْ يُمكن أَن يظْهر فِي وَقت آخر مثله وبالإضافة إِلَى بعض الْخِصَال دون الْجَمِيع فَلَا وحدة على الْإِطْلَاق إِلَّا لله تَعَالَى .

222- العَبْد يَنْبَغِي أَن يكون مجيباً أولا لربه تَعَالَى فِيمَا أمره وَنَهَاهُ وَفِيمَا نَدبه إِلَيْهِ ودعَاهُ ثمَّ لِعِبَادِهِ فِيمَا أنعم الله عزوَجل عَلَيْهِ بالاقتدار عَلَيْهِ وَفِي إسعاف كل سَائل بِمَا يسْأَله إِن قدر عَلَيْهِ وَفِي لطف الْجَواب إِن عجز عَنهُ قَالَ الله عزوَجل (وَأما السَّائِل فَلَا تنهر) سُورَة الضُّحَى (10) .

وَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم **(لَوْ دُعِيتُ إلى كُراعٍ لَأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إلَيَّ كُراعٌ لَقَبِلْتُ)** رواه البخاري ، وَكَانَ حُضُوره الدَّعْوَات وقبوله الْهَدَايَا غَايَة الْإِكْرَام والإيجاب مِنْهُ فكم من خسيس متكبر يترفع عَن قبُول كل هَدِيَّة وَلَا يتبذل فِي حُضُور كل دَعْوَة بل يصون جاهه وكبره وَلَا يُبَالِي بقلب السَّائِل المستدعي وَإِن تأذى بِسَبَبِهِ فَلَا حَظّ لمثله فِي معنى هَذَا الِاسْم .

223- سَعَة العَبْد فِي معارفه وأخلاقه فَإِن كثرت علومه : فَهُوَ وَاسع بِقدر سَعَة علمه وَإِن اتسعت أخلاقه حَتَّى لم يضيقها خوف الْفقر وغيظ الْحَسَد وَغَلَبَة الْحِرْص وَسَائِر الصِّفَات فَهُوَ وَاسع وكل ذَلِك فَهُوَ إِلَى نِهَايَة **وَ إِنَّمَا الْوَاسِع الْحق** هُوَ الله تَعَالَى .

224- الْوَدُود من عباد الله من يُرِيد لخلق الله كل مَا يُرِيدهُ لنَفسِهِ : وَأَعْلَى من ذَلِك من يؤثرهم على نَفسه ؛ وَكَمَال ذَلِك أَن لَا يمنعهُ عَن الإيثار وَالْإِحْسَان الْغَضَب والحقد وَمَا ناله من الْأَذَى كَمَا قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَيْثُ كسرت رباعيته وأدمي وَجهه وَضرب (اللَّهُمَّ اغْفِر لقومي فَإِنَّهُم لَا يعلمُونَ) رواه البخاري ، فَلم يمنعهُ سوء صنيعهم عَن إِرَادَته الْخَيْر لَهُم و قال صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (صِلْ من قطعك وأعْطِ من حرمك وأعرِضْ عمَّن ظلمك في رواية واعْفُ عمَّن ظلمك) قال المنذري : رواة أحد إسنادي أحمد ثقات .

225- حَظّ العَبْد من هَذَا اسم الله تعالى الغفار: أَن يستر من غَيره مَا يجب أَن يستر مِنْهُ فقد قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : (مَن سترَ عورةَ أخيه سترَ اللهُ عورتَه يومَ القيامةِ) [13] والمغتاب والمتجسس والمكافئ على الْإِسَاءَة بمعزل عَن هَذَا الْوَصْف وَإِنَّمَا المتصف بِهِ من لَا يفشى من خلق الله تَعَالَى إِلَّا أحسن مَا فِيهِ وَلَا يَنْفَكّ مَخْلُوق عَن كَمَال وَنقص وَعَن قبح وَحسن فَمن تغافل عَن المقابح وَذكر المحاسن فَهُوَ ذُو نصيب من هَذَا الْوَصْف .

* *   * * * *   * *

13- أخرجه ابن ماجه وحسَّنه الدمياطي في المتجر الرابح ، وورد في صحيح مسلم بلفظ (وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) .

مُناظَرةُ النَّفسِ

اعلم أنَّا قد نبهناك شوقناك ، فإنْ أعرضتَ عن الإصغاءِ أو أصغيَتْ بظاهرِ قلبِك كما تصغي إلى الكلام الرسمي – الفقهي - خبت وخسرت، وما ظلمت إلا نفسك وقد قال تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا) سورة الكهف (28).

وإنْ أصغيَتْ إصغاءَ ذي فطنةٍ وبصرٍ حديدٍ ، وتفكَّرتَ تفكُّرَ مَنْ له قلب عتيد وقد ألقى السمع وهو شهيد، فاخرج عن جميع ما يصدك عن سلوك الصراط المستقيم، وما يَصدُّ عنها إلا حبُّ الدنيا والغفلةُ عن الله واليم الآخر.

واجتهد أن تفرّغَ قلبَك كلَّ يومٍ ساعةً عقيبَ صلاةِ الصبحِ وذلك عندَ صفاءِ الذهنِ فتُفكّرَ في شأنِك وتنظرَ في مبدئِك ومعادِك، وتحاسبَ نفسَك

وتقول لها : إنّي مسافرٌ وتاجرٌ و ربحي سعادةُ الأبدِ ولقاءُ الله تعالى السرمد ، وخُسراني شقاوةُ الأبدِ والحجابُ عن الله تعالى، ورأسُ مالي عُمُري وكلُّ نَفَسٍ من الأنفاسِ كنزٌ من الكنوز وجوهرةٌ من الجواهرِ، وإذا فني العمرُ انقطعَتِ التجارةُ وحصلَ اليأسُ، وهذا اليومُ جديدٌ قد أمهلنِي اللهُ فيه، ولو توفّاني لكنتُ أشتهي أنْ يُرجِعَني إلى الدنيا لأعملَ صالحاً.

فاحسِبي يا نفسي أنَّكِ تُوفّيت ورجعتِ إلى الدنيا يوماً واحدًا، واجتهدي في هذا اليومِ الواحدِ، و انظري لنفسِك، وإن لم تُمهَلي للغدِ فقد استوفيْتِ ربحَ هذا اليومَ ولم تتحسَّري، وإن أُمهلْتِ فاستأنِفي للغدِ مثلَ ذلك، ولا تَخدعِي نفسِك بتمنّي العفوَ فإنَّ ذلك ظنٌ قد يكذبُ ولا ينفعُ التحسُّرُ؛ ثم هبْ أنَّه قد عُفِي عنكِ أليس قد فاتَك ثوابَ المحسنين وناهيك به حسرةً وندامةً.

فإذا قالتْ لك نفسُك : ماذا أعملُ وكيفَ أجتهدُ ؟

فقل لها : اتُركي ما يفارقُكِ بالموتِ والْزَمي بُدَّكِ الّلازمَ وهو اللهُ تعالى وأطلُبي الأُنْسَ بذكره.

فإذا قالتْ فكيفَ أتركُ الدنيا؟ فقد استحكمَتْ علاقتُها في قلبِي؟

فتقول : أَقبِلي على قطعِ علاقَتِها مِنْ باطنِ القلبِ كما علَّمْناكِ في الأصول العشرة المهلكات - في كتاب الإحياء - ، ففتِّشي عن أغلبِ علاقةٍ مِنْ علائقِها مِنْ حبّ مالٍ أو جاهٍ لو حسَبٍ أو عداواتٍ

أو شهوةِ بطنٍ أو فرجٍ أو غيرِ ذلك مِنْ المهلكاتِ فليس إلَّا أنْ تتفكري في عِظَمِ آفاتِها وإهلاكِها إياكِ ، فتنبعثُ لمجاهدتِها ومخالفةِ مقتضاها ، فقد تخلَّصْتَ منها و أيَّدَكَ اللهُ بتوفيقِه ومعونتِه.

ثم تقول : فقدِّري أنَّكِ مريضةٌ وقد قاربت مدة الحياة على الانتهاء، وقد أنبأَكِ طبيبٌ تظنّين صِدقَه أنَّ ملاذَّ الأطعمةِ تضرُّكِ وأنَّ الأدويةَ البشعةَ تنفعُك أليسَ تتصبَّرينَ بقولِه على مراراتِ الدواءِ طمعاً في الشفاءِ ؟ ألستَ تتصبرَّينَ على الكدِّ والتعبِ والسفرِ الطويلِ طمعاً في الاستراحة في المنزل ،و أنتِ مسافرةٌ ومنزلُك الأخرةُ .

وتقول : يا نفسُ ، ما الذي تطلبينَ مِنَ الدنيا ؟

إنْ طلبتِ المالَ ووجدتِه - و هيهات - فتكونُ في اليهودِ جماعةٌ أغنى منكِ .

وإنْ طلبتِ الجاهَ ونلتِه - وهيهات - فتكونُ في أخلاقِ حمقى الأكراد مَنْ يستولي عليكِ ، فيكون جاهُه أعظم مِنْ جاهِك ، فإنْ كنتِ لا تدركين آفةَ وشدةَ عذابِها في الآخرة وبلائِها ، أفلا ترفَّعين عنها لخسَّةِ شركائِها ، أما تَعلمِين أنَّكِ لو طلبتِ الدنيا كان في اليهودِ مَنْ سبقِك إليها ، فأفٍّ لدنيا سبقك بها حميرٌ، فتفكَّري يا نفسُ و انظري لنفسَك فلن ينظرُلك أحدٌ غيرُك .

وكذلكَ لاتزال تُناظِرُ نفسَك حتى تطاوعَك على سلوكِ الصراطِ المستقيمِ إلى اللهِ تعالى ، وما لم تُناظِرْ نفسَك مدةً طويلةً لا تخلِّيكَ لمناجاةِ ربِّك وذكرِه والإقبالِ عليه .

وإنْ أردتَ أنْ تتعلَّمَ طريقَ مناظراتِها ومر اقبتِها ومحاسبتِها ومعاقبتِها فاطلبْه مِنْ كتابِ المحاسبةِ والمر اقبةِ في الإحياءِ ، والله تعالى يوفّقُني و إياكَ بفضلِه وجودِه وكرمِه إلى طريقِ الحقّ وتأييده ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مناجاة إلهية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ، بيده الخيرُ وهو على كل شيء قديرٌ.

اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي لساني نورًا اللهم اشرح لي صدري ويسِّرلي أمري.

اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقولُ وخيرًا مما نقول، لك صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي، وإليك مآبي وإليك تُراثي.

اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدروشتَاتِ الأمر، وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك من شرّ ما يلجُ في الليل، ومن شرّ ما يلج في النهار، ومن شرّ ما تهبّ به الرياح، ومن شرّ بوائق الدَّهر. اللهم إني أعوذ بك من تحوُّل عافيتك، وفجأة نقمتك وجميع سخطك ؛ اللهم اهدني بالهدَى، واغفر لي في الآخرة والأولى يا خير مقصُود، وأسنى منْزُول به، وأكرم مسئول ما لديه أعطني العشية أفضلَ ما أعطيتَ أحدًا من خلقك، وحجّاج بيتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا رافع الدرجات، ومنزل البركات، ويا فاطرَ الأرَضين والسموات، ضجَّت إليك الأصواتُ بصنوف اللغات، يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار البِلَى إذا نسيني أهلُ الدنيا .

اللهم إنك تسمعُ كلامي، وترى مكاني، وتعلمُ سرِّي وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيءٌ من أمري، أنا البائسُ الفقيرُ، المستغيث المستجيرُ، الوجلُ المشفقُ المعترفُ بذنبه أسألك مسألة المسكين، و أبتهلُ إليك ابتهال المذنب الذّليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعتْ لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذلّ لك جسده، ورغِم لك أنفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيًّا، وكن بي رؤوفًا رحيمًا، يا خيرَ المسئولين، و أكرم المعطين.

إلهي من مدح لك نفسه فإني لائم نفسي إلهي أخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عملٍ، ولا شفيع سوى الأملِ إلهي إني أعلمُ أن ذنوبي لم تُبق لي عندك جاهًا، ولا للاعتذاروجهًا، ولكنك أكرمُ الأكرمين إلهي إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فإنّ رحمتك أهلٌ أن تبلغني، ورحمتك وسعت كلّ شيء و أنا شيء .

إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظامًا ولكنها صغارٌفي جنبِ عفوك، فاغفرها لي يا كريمُ إلهي أنت أنت، و أنا أنا، أنا العوَّادُ إلى الذنوب، و أنت العوّاد إلى المغفرة إلهي إن كنتَ لا ترحم إلا أهل طاعتك، فإلى من يفزَعِ المذنبون؟ إلهي تَجنّبتُ عن طاعتك عمدًا، وتوجهت إلى معصيتك قصدًا، فسبحانك ما أعظمَ حجتك عليّ، و أكرم عفوَك عني، فبوُجوب حجتك عليّ و انقطاع حُجتي عنك وفقري إليك، وغناك عني إلا غفرت لي يا خيرَمن دعاهُ داعٍ، و أفضلَ من رجاه راجٍ بحرمة الإسلام وبذِمة محمد عليه السلام أتوسّل إليك فاغفرلي جميع ذنوبي، واصرفني من موقفي هذا مقضيّ الحو ائج، وهب لي ما سألتُ، وحقق رجائي فيما تمنّيتُ إلهي دعوتك بالدعاء الذي علّمتنيه فلا تحرمني الرجاءَ الذي عرّفتنيه .

إلهي ما أنت صانع العشية بعبدٍ مقرٍّلك بذنبه؟ خاشعٍ لك بذِلّته، مستكين بجُرمه، متضرّع إليك من عمله، تائب إليك من اقتر افه، مستغفرٍلك من ظلمة، مبتهلٍ إليك في العفو عنهُ، طالبٍ إليك نجاح حو ائجه، راجٍ إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه، فيا ملجأ كلِّ حيّ، ووليَّ كل مؤمن، من أحسن فبِرَحمتك يفوزُ، ومن أخطأ فبخطيئته يهلك .

اللهم إليك خرجنا، وبفنائك أنخنا، و إياك أمَّلنا، وما عندك طلبنا، ولإحسانك تعرَّضنا، ورحمتك رَجونا، ومن عذابك أشفقنا، وإليك بأثقال الذنوب هربنا، ولبيتك الحرام حججنا.

يا من يملك حوائج السائلين، ويعلمُ ضمائر الصامتين، يا من ليس معه ربٌّ يُدعَى، ويا من ليس فوقه خالقٌ يُخشَى، ويا من ليس له وزيرٌ يؤتى، ولا حاجبٌ يرشى، يا من لا يزدادُ على كثرة السؤال إلاّ جُودًا وكرَمًا، وعلى كثرة الحوائج إلاّ تفضيلاً وإحسانًا.

اللهم إنك جعلتَ لكلِّ ضيفٍ قرًى ونحن أضيافك فاجعل قِرَانًا منك الجنة اللهم إن لكل وفدٍ جائزةً، ولكل زائرٍ كرامة، ولكل سائل عطيةً، ولكل راجٍ ثوابًا، ولكل ملتمس لما عندك جزاءً، ولكل مسترحم عندك رحمةً، وكل راغبٍ إليك زُلفَى، ولكل متوسّل إليك عفوًا، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام، ووقفنا بهذه المشاعر العظام، وشهدنا هذه المشاهد الكرام، رجاءً لما عندك فلا تخيبْ رجاءنا.

اللهم تابعتَ النِّعم حتى اطمانت الأنفسُ بتتابع نعمك، وأظهرتَ العبر حتى نطقتِ الصوامتُ بحجتك، وظاهرتَ المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقّك، وأظهرتَ الآيات حتى أفصحتِ السموات والأرضون بأدلّتك، وقهرتَ بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزّتك، وعنتِ الوجوهُ لعظمتك. إذا أساء عبادك حلُمت وأمهلت، وإن أحسنوا تفضّلت وقبِلتَ، وإن عصَوا سترتَ، وإذا أقبلنا إليك قرُبت، وإذا ولّينا عنك دعوت.

اللهم إنك قلتَ في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف﴾ فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود، وإنا نشهد لك بالتوحيد مُخْبتِينَ، ولمحمد بالرسالة مخلصين، فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام، ولا تجعل حظّنا فيه أنقص من حظِّ من دخل في الإسلام إلهنا إنك أحببت التقرُّب إليك بعتق ما ملكَت أيماننا ونحن عبيدُك، وأنت أولى بالتفضّل فأعتقنا، وإنك أمرتنا أن نتصدّق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطوُّل فتصدَّقْ علينا، ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمْنا أنفسنا وأنت أحقّ بالكرم فاعف عنا، ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا، ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا برحمتك عذاب النار.

اللهم إني أسألُكَ مِنَ النِّعمة تمامَها ؛ ومِنَ العِصمةِ دوامَها ؛ ومِنَ الرَّحمةِ شُمولَها ؛ ومِنَ العافيةِ حُصولَها ؛ ومِنَ العيشِ أرغدَهُ ومِنَ العُمرِ أسعدَهُ ؛ ومِنَ الإحسانِ أتمَّهُ ؛ ومِنَ الإنعامِ أعمَّهُ ؛ ومِنَ الفضلِ أعذبَهُ ومِنَ اللطفِ أنفعَهُ وأقربَهُ .

اللهم كُنْ لنا ولا تكُن علينا اللهم اختِم بالسَّعادةِ آجالَنا وحقِق بالزِّيادةِ آمالَنا و اقرُن بالعافيةِ غُدوَّنا وآصالَنا واجعل إلى رحمتِك مصيرَنا ؛ ومآلنا واصبُب سِجالَ عفوِكَ على ذُنوبِنا ؛ ومُنَّ علينا بإصلاحِ عيوبِنا ؛ واجعلِ التقوى زادَنا وفي دِينِكَ اجتهادَنا ؛ وعليكَ توَكُّلنا واعتِمادَنا ؛ وثبِّتنا على نهجِ الإستقامةِ ؛ وأعِذنا في الدُّنيا مِن مُوجِبات النَّدامة يومَ القيامة وخفِّف عنَّا ثِقلَ الأَوزار ، وارزُقنا عِيشةَ الأبرار ؛ واكفِنا واصرِف عنا شرَّ الأشرار ؛ واعتِق رِقابَنا ورِقابَ آبائِنا وأُمَّهاتِنا وأولادِنا وإخوانِنا وأخواتِنا وقراباتِنا وعشيرتِنا مِن عذابِ القبرِ ومن النار ؛ برحمتِكَ يا عزيزُ يا غفار.. يا كريمُ يا ستَّار يا حليمُ يا جبَّار يا أللهُ يا أللهُ يا أللهُ يا رحمن والحمد للهِ ربِّ العالمين .

وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين آمين.